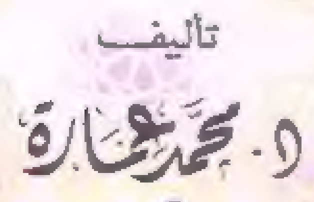
في التنوير الإسلامي

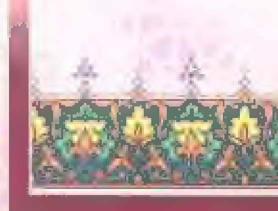
«٧٤»

إسلامية المعرفة ماذا تعني...؟

تأليف

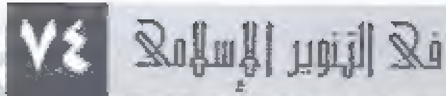
د. محمد عمارة













إسلامية المعرفة

ماذا تعني...؟

تأليف

د. محمد عمارة



اسم الكتاب: إسلامية المعرفة ماذا تعني؟
المؤلف: د. محمد عمارة
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم
تاريخ النشر: الطبعة الأولى يناير 2007م
رقم الإيداع: 2006 / 22719
الترقيم الدولي: ISBN 977-14-3783-6

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: 02/3472864-02/3466434 فاكس: 02/3462576 ص.ب: 20 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: Publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) - فاكس: 8330296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع: Press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة - ص.ب: 96 الفجالة - القاهرة
ت: 5909827 (02) - 5908895 (02) - فاكس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجاني: 08002226222
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: Sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدي)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938



«إسلامية المعرفة»..

هذا شعار جديد عرفته حياتنا الفكرية والثقافية منذ سنوات.. وكأى شعار جديد فلقد قوبل بردود فعل متباينة ومتفاوتة، تراوحت ما بين التأييد.. والحذر.. والحماس، غير الواعى، له.. أو ضده!

وإذا كان هذا الشعار جديداً، وإذا كانت جدته قد كانت سبباً فى الكثير من علامات الاستفهام التى قامت من حوله.. فإن من الضرورى - جلاءً لحقيقته - أن نبدأ هذا التمهيد بالإشارة إلى حقيقتين:

الأولى : أن جدة هذا الشعار - «إسلامية المعرفة» - لا تعنى جدة المضمون الذى يعبر عنه، ولا جدة القضية التى يطرحها.. فإسلامية المعرفة - كما سيقيم الدليل عليها هذا التمهيد - هى مهمة فكرية، ورسالة ثقافية عرفتها حضارتنا منذ ظهور الإسلام.. وأول كتاب عرض لهذه القضية - فى تاريخنا الحضارى - هو القرآن الكريم: **فشعار «إسلامية المعرفة» يوحى بالموقف القائل بقيام علاقة ما بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية**.. وهذه هى المهمة الفكرية والرسالة الثقافية التى عرفتها حضارتنا الإسلامية منذ ميلادها وتبلورها، والتى قدمتها بديلاً إسلامياً فى المعرفة للنموذج المادى فى المعرفة الذى كان معروفاً وسائداً فى حضارات أخرى، غير الحضارة الإسلامية، قبل وعند ظهور الإسلام..

ولذلك، فإننا نأمل أن تكون الإشارات التي يقدمها هذا الكتاب لتاريخ مضمون هذا الشعار «علاقة الإسلام بالمعارف الإنسانية» في تاريخنا الحضاري والفكري والثقافي - شاهدًا على أن جدة الشعار لا تعني أن مضمونه «بدعة فكرية»؛ لأنه في حقيقته مُسَلَّمة من المسلمات الفكرية الراسخة في علوم حضارة الإسلام..

والثانية ، من الحقائق، التي نشير إليها الآن، هي أن جدة هذا الشعار قد أثارت - وهذا طبيعي أحيانًا - ردود أفعال متباينة تجاهه:

● فهناك - غير الذين ينكرونه ويستنكرونه؛ لأنهم ينكرون ويستنكرون - بوعي - أن تكون للإسلام علاقة - أية علاقة - بأي من معارف وعلوم المدنية والحضارة والحياة - هناك - غير هؤلاء - الذين نفهم موقفهم ولابد أن نحاورهم - هناك الذين ينكرونه لجهلهم بحقيقة مراميه ومقاصده.. وهناك الذين يظلمون هذا الشعار - «إسلامية المعرفة» - عندما يرفعونه، ويستخدمونه، مع جهلهم بحقيقة ما يعنيه! فيسيئون إليه أشد من إساءة العقلاء من أعدائه؛ لأنهم يقدمون «الحجج» السلبية التي يستفيد منها هؤلاء الأعداء؟!

في مواجهة هذا الشعار الذي يطرح قضية: قيام علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية.. وطبيعة ومدى هذه العلاقة؟ هناك مواقف، وردود أفعال:

● فمن الناس من يظن أن «إسلامية المعرفة» هي «كهانة - كنسية» جديدة، في دوائر المعرفة.. تريد أن تجعل من علوم ومعارف الحياة، المدنية والحضارية، «دينًا خالصًا» فتقدسها قدسية الدين، وتثبتها ثبات الدين - فهي حجر جديد على الاجتهاد في علوم الحياة، وتجميد لها وجمود يحول بينها وبين التطور

والتغيير. وبهذا الفهم للقضية، نراهم يناصبونها العداء؛ مخافة أن تعيد، من جديد، السيرة الأولى للكنيسة الأوربية مع العلم والعلماء!

● ومن الناس من يحسب أن إسلامية المعرفة إنما تعنى فصالاً تامًا وكاملاً مع العلوم والمعارف الإنسانية - الاجتماعية منها والطبيعية - التى أبدعها العقل الإنسانى فى الحضارات غير الإسلامية.. فهذه معرفة إسلامية.. وتلك كافرة.. والفصال كامل والخصام تام بين الكفر والإسلام! فهم يخشون أن يفضى أمر إسلامية المعرفة بنا إلى قطيعة مع ثمرات العقل غير المسلم فى المعارف والعلوم، فنزداد عزلة ونوغل فى الانغلاق اللذين يفضيان بنا إلى الذبول والانقراض!

● ومن الناس من توهم أن إسلامية المعرفة لا تعنى ولا تكلف ولا تقتضى أكثر من إضافة بعض من آيات القرآن الكريم ومن الأحاديث النبوية الشريفة إلى مناهج وحقائق وقوانين العلوم التى أبدعتها مدارس الفكر الغربى - الإنسانية منها والطبيعية - فكما نستعين باكتشافات العلم الغربى على اكتشاف الإعجاز العلمى فى آيات القرآن الكريم، نستطيع أن نستعين بآيات القرآن الكريم؛ لإضفاء «الإسلامية» على هذا العلم الغربى.. وكفى الله عقولهم «شر» الاجتهاد والإبداع!

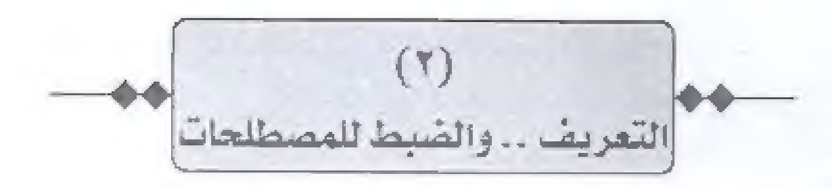
● لكن هناك - غير هؤلاء جميعًا - من يتحفظون على جميع هذه المواقف والرؤى.. ويرون أن إسلامية المعرفة، وإن تكن شعارًا جديدًا، إلا أنه يعبر، فى رأيهم، عن رسالة فكرية جليلة ومهمة ثقافية ثقيلة الحمل! تمثل واحدة من السمات الثوابت والقسمات الأصيلة فى حضارتنا الإسلامية منذ ظهور الإسلام..

وللبرهنة على ذلك، كان لابد من ضبط وتفسير المصطلح والشعار - إسلامية المعرفة - لتبيان المقاصد، وتبديد الغموض.. ليؤيد من يؤيد عن بيِّنة.. ويعارض من يعارض عن بيِّنة.. ويقلع الذين يمتهنون القضية عن هذا الذى يفعلون!

ولابد كذلك من وضع القضية فى مكانها وإطارها الطبيعى والصحيح كبديل إسلامى، ومذهب إسلامى فى المعرفة، يقابل ويخالف المذاهب المادية والوضعية والحسية فى المعرفة.. وإقامة الدليل على أن هذا هو مكان وخطر هذه القضية.. كانت البديل الإسلامي في المعرفة الذى واجه به القرآن الكريم مذاهب الشرك فى المعرفة المادية.. وكانت البديل الإسلامي في المعرفة الذى واجه به فكرنا الإسلامى المبكر مذاهب الديانات الوضعية في المعرفة «الحسية - التجريبية»، عندما رأتها هذه المذاهب مصدرًا وحيدًا لمعارف الإنسان.. فكانت هى - إسلامية المعرفة - «مقالة الإسلاميين» - فى المعرفة الإنسانية - التى واجهوا بها «مقالات غير الإسلاميين» فى هذا الميدان!

كانت كذلك، فى النشأة، وفي التطور.. كما هى الآن، عندما يطرحها هذا الشعار الجديد - إسلامية المعرفة - ليواجه بها مذاهب الحضارة الغربية فى المعرفة.. المادية منها والوضعية.. والتجريبية.. والوضعية المنطقية.. والسلوكية.. وغيرها من المذاهب التى تشترك فى نفى العلاقة بين «كتاب الوحى» - الدين - وبين «كتاب الوجود» - المُدرَك بحواس الإنسان..

وتلك هى المهمة التى تطمح لبلوغها صفحات هذا الكتاب إن شاء الله.



(٢)
التعريف .. والضبط للمصطلحات

والآن..

ماذا يعنى هذا المصطلح - الشعار - «إسلامية المعرفة»؟

● إن «الإسلامية» هى النسبة إلى الإسلام. وإذا كان الإسلام - لغة - هو الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول ﷺ من البلاغ الإلهى المتمثل فى القرآن الكريم، ومن البيان النبوى، المتمثل فى السنّة النبوية الصحيحة - فإن الإسلام - فى الاصطلاح - هو الدين الذى وضعه الله سبحانه وتعالى لعباده ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[1].. فهو وضع إلهى، يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول ﷺ.. من البلاغ الإلهى، والبيان النبوى.

فالإسلام - فى الاصطلاح - هو: الوضع الإلهى.. وفى اللغة.. هو الانقياد لهذا الوضع الإلهى: أى الانقياد لله، ولما جاء من الشرائع والأحكام التى تلقيناها عن رسول الله[2].

«فالإسلامية» هى النسبة إلى هذا الدين الذى وضعه الله: أى إقامة العلاقة مع الوحى ونبأ السماء.

---

(١) سورة آل عمران : ١٩.

(٢) انظر الجرجانى [التعريفات] - طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م. و[معجم ألفاظ القرآن الكريم] - وضع مجمع اللغة العربية - القاهرة - طبعة ١٩٧٠م

● أما «المعرفة» فإنها: خلاف الإنكار.. وإدراك الأشياء وتصورها.. فهي: العلم الكسبي الخاص بالبسيط والجزئي والذي فيه إدراك وتصور - وتلك صفات وجهود بشرية إنسانية.

وعندما يراد بـ«العلم»: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.. أو: إدراك الشيء على ما هو به.. أو: حصول صورة الشيء في العقل.. فإنه - وفق هذه التعريفات - يكون مرادفًا للمعرفة؛ لاشتراكه معها في كونه كسبيًا، معتمدًا على الإدراك والتصور، وخاصًا بالبسيط وبالجزئيات.

أما عندما يكون العلم: صفة للإحاطة بالكليات والجزئيات جميعًا، على نحو يكون فيه العلم علة وسببًا للموجود والمعلوم - وليس معلولاً لهما - وغير متوقف على الإدراك والتصور - وأمثالهما من الخصائص البشرية الإنسانية - فذلك هو العلم الإلهي.. المفارق للمعرفة؛ لأن علم الإنسان ومعرفته معلولة ومسببة عن الموجود، وليست سببًا وعلة لوجود هذا الموجود..

فالعلم: منه الكسبي - المرادف للمعرفة - ومنه غير الكسبي - وهو العلم الإلهي.. ولا يسمى معرفة؛ لأن المعرفة كسب، بالإدراك والتصور، في نطاق البسيط الجزئي.. وليس هكذا علم الله، غير الكسبي، والمحيط بالكليات والجزئيات..

فكل «معرفة» هي «علم».. وليس كل «علم» هو بالضرورة «معرفة».. والله - سبحانه وتعالى - عالم.. ولا يوصف بالعارف.. أما الإنسان فإنه عالم وعارف بهذا المعنى الذي حددناه..

وفيما هو بسيط. يقال: علمته، وعرفته. ولا يقال علمته فيما لا يحاط به، لخروجه عن البسيط؛ ولذلك يقال: عرفت الله. ولا يقال علمته؛ لأن المعرفة تقال فيما يُدْرَك بآثاره، ولا تُدْرَك ذاته..

ولارتباط المعرفة بالكسب وبالواسطة - أدوات الإدراك والتصور - كانت خاصية إنسانية.. ويشهد على هذا قول رسول الله ﷺ: «أنا أعلمكم بالله»[1]، وإن المعرفة فعل القلب؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[2].

وكما لا يقال: الله عارف، كذلك لا يقال في حقه، سبحانه: عاقل.. كما لا تطلق صفة الدراية عليه أيضًا[3].

أي أن بين «المعرفة» و«العلم» خصوصًا وعمومًا..

فالمعرفة إنسانية: لأنها كسبية، وبالوسائط، وخاصة بالبسيط والجزئي، وما يُدْرَك بآثاره، ولا يُدْرَك كنه ذاته.. وتلك من سمات وخصائص وحدود الإنسان.. أما العلم فإنه أعم من المعرفة؛ إذ فيه الكسبي، الواقف عند البسيط، والجزئي - وهذا هو العلم الإنساني - الذي هو معرفة إنسانية.. وفيه كذلك العلم غير الكسبي، علم ما هو مركب، العلم المحيط والكلي، والمُسبِّب للموجودات، وليس المنعكس عنها.. وهذا هو علم الله، سبحانه وتعالى.

(١) رواه البخاري - ولو سأل سائل: لم قال الرسول: «أعلمكم» ولم يقل: أعرفكم؟ فالجواب: أن مصدر المعرفة النبوية هنا هو الوحي لا الكسب فهي علم.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٥.

(٣) انظر في هذه المعاني [معجم ألفاظ القرآن الكريم] و[التعريفات] - للجرجاني - و[المعجم الفلسفي] - وضع: د. مراد وهبة، ويوسف كرام، ويوسف شلالة - طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م.

ولذلك فإن "الوحي" رغم بلوغه لنا عن طريق الرسول ﷺ هو علم لا "معرفة" لأنه تنزيل الله وبلاغ الرسول ولا كسب فيه من الرسول ولا اكتساب، أما فهمنا له فهو علمنا به ومعرفتنا به بالكسب والاكتساب فالعلوم الشرعية فيها "علم إلهي" هو البلاغ القرآني وبيانه النبوي وفيها "معرفة إنسانية" هي اجتهادات المجتهدين وفقه الفقهاء في البلاغ القرآني والبيان النبوي

هذا عن [illegible] المعرفة والتفسير [illegible]

الإسلامية للمعرفة [illegible] العلاقة بين الإسلام وبين المعرفة أي الصلة بين كتاب الوحي القرآن الكريم وبيانه النبوي وبين كتاب الوجود ومعارف الإنسان في علوم الوجود الإنسانية منها والطبيعية

فهي "إسلامية المعرفة" لأن المذهب القائل بوجود علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية والرافض لجعل الواقع والوجود وحده المصدر الوحيد للعلم الإنساني والمعرفة الإنسانية

هي المذهب الذي يقيم المعرفة الإنسانية على ساقين اثنين "الوحي" وعلومه و"الكون" وعلومه وليس على ساق واحدة هي "الوجود"

ولذلك كان تمييز هذا المذهب في المعرفة نهجا يعتمد كل أدوات وسبل المعرفة المناسبة لإدراك حقائق ومعارف كل من

المصدرين وليس فقط اعتماد الحواس والتجارب لأنها لن تمكن من الإدراك لحقائق الوجود في عالم الشهادة فلن تفي بإدراك حقائق وتصورات كتاب الوحي في عالم الغيب.

وإذا كانت المعارف والعلوم منها ما هو إلهي شرعي، ومنها ما هو بشري وإنسي وحضاري ودنيوي، فإن هذا التقسيم لا يعني الفصل التام بين الإلهي الشرعي وبين البشري المدني، وإنما يعني «التمييز» فقط بين العلوم والمعارف التي موضوعها الوحي القرآني والنبوي «السنة»، فهي إسلامية الموضوع والمصادر والمنطلقات والمقاصد والغايات، وفيها من إبداع اجتهادات المجتهدين وعقول الفقهاء في فهم الوحي وسنته ودلالته ما يوسع استقراءاتهم واجتهاداتهم في استنباط الجزئيات من الكليات، وفي تقعيد [illegible] لها هندسة العلوم.

«التمييز — وليس الفصل التام — بين هذه العلوم الشرعية وبين العلوم «المدنية» البشرية الحضارية الإنسانية منها والطبيعية، والتي موضوعها «الكون» — مادته وظواهره وطاقاته — و«النفس الإنسانية» في جوانبها وعلاقاتها. فموضوعات هذه العلوم المدنية ومنطلقاتها ليست الوحي والدين، وإنما هي الكون والأنفس والاجتماع الإنساني».

وإذا كانت العلوم والمعارف الإلهية الشرعية هي إسلامية الموضوع والكليات والمنطلقات وفيها من الإبداع

اجتهادات المجتهدين وفقه الفقهاء في الفروع والجزئيات وفي التقعيد. فإن علوم الكون ومعارفه بشرية مدنية الموضوع والكتاب والمصنفات "وإسلاميتها" لا تعني إيجاد علاقة بينها وبين السنن الإلهية التي جاء بها الوحي في الكون والإنسان والاجتماع وكذلك توظيف هذه العلوم والمعارف عن طريق أسلمة فلسفتها لتحقيق المقاصد والغايات الشرعية التي حددها الوحي لحكمة الخالق سبحانه وتعالى للكون والإنسان

فعلاقة كتاب الوحي الإسلامي بالمعارف قديمة أو حديثة تقوم في كل أنواع المعارف والعلوم، لكن المدى المحقق للإسلامية في هذه المعارف والعلوم يتفاوت "كماً" و"كيفاً" في "الإلهي الشرعي" منها عن "البشري المدني" كما يتفاوت في "الإنساني - الاجتماعي" منه عن "الطبيعي"

هذا عن التعريف والضبط لمصطلحات هذا الشعار

(٣)
أمثلة .. وتطبيقات

ولكن هذا هو جوهر المصطلح والشعار «إسلامية المعرفة» .. أي إقامة العلاقة بين الإلهي و الإنساني في العلوم والمعارف والعلاقة المناسبة التي تقيم المعرفة الإنسانية على الساقين «الإلهي» و «الكوني» فتحفظ بها وعليهما استواء الحق، وتعصمها من «الثنائية والانشطار» وذلك دون أن تصبح «الإنساني» «إلهيا» له قدسية الإلهي وثباته ودون أن يصبح «الإلهي» إنسانيا كما هو الحال عند الذين جعلوا الدين وضعا بشريا وإفرازا للعقل الإنساني وثمرة من ثمرات الاجتماع الإنساني .. إن كل هذا هو المعنى المراد من المصطلح والشعار عن تصنيف الإنسانية.

فليست إسلامية المعرفة خاصة بهذه العلوم والمعارف «البشرية النسبية» فهي التي من الممكن أن تكون إسلامية إن قامت العلاقة بينها وبين «كتاب الوحي» ومن الممكن أن تكون «لا إسلامية» إذا وقفت معارفها عند كتاب الوجود والأدوات الحسية للإدراك.

وإسلامية هذه المعارف معناها أن تصدر إدراكنا وتصوراتنا ومعرفتنا لموضوعاتها حتى تستحضر أسس و القوانين والضوابط والمقاصد الشرعية المتعلقة بها والتي جاءت في كتاب الوحي وفي بيانه النبوي أي اكتشاف علاقة «كتاب الوجود»

بكتاب الوحي، أثناء دراسة وتطبيق هذه العلوم البشرية المدنية الحضارية.

ولعل هذا الكتاب، عندما يركز على معنى إسلامية المعارف الإنسانية، أن يقيم الدليل - ولو بشكل سريع وغير مباشر - على «تهافت» «العلم العلماني» الذي زعمت مذاهب المعرفة المادية والوضعية بشريته. ولحسن الحظ فليست هذه المصطلحات المستوردة ذات الانتشار في واقعنا الفكري، وإنما القضية الجادة التي تستحق التركيز عليها هي إسلامية أو لا إسلامية معارف وعلوم الإنسان.

وإذا كان الأمر كذلك، فلعل أمثلة تطبيقية على حقيقة إسلامية المعرفة في بعض قضايا هذه العلوم والمعارف البشرية الاجتماعية منها والطبيعية - لعل مثل هذه التطبيقات على ما تعنيه هذه العلاقة الحقيقية للإسلامية أن تكون مفيدة بل وضرورية عند هذا الحد من هذا الكتاب.

● فنحن مثلاً إذا درسنا علم الاقتصاد، باعتباره العلم الذي يبحث عن مشاكل التوفيق بين الموارد المحدودة وحاجات الإنسان غير المحدودة والمتفاوتة في الأهمية - أي علم تدبير الحلول لمشكلة الإنسان الاقتصادية - التي تتعدد فيها غاياته وتختلف أهمية كل منها وتقل وسائل الوصول إليها مع إمكانية استعمالها في أغراض متضاربة"[1]

[1] انظر في هذا التعريف: معجم العلوم الاجتماعية، وضعه [illegible] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥م

إن نحن درسنا علم الاقتصاد بهذا الاعتبار فقط كانت المعرفة الاقتصادية المستخلصة من هذه الدراسة مجردة من «الإسلامية»!

أما إن نحن درسنا الاقتصاد باعتباره علم تدبير إشباع وكفاية الاحتياجات في ضوء الموارد وعلى ضوء وفي إطار سنن الله وضوابط الشريعة والمبادئ والثوابت الإسلامية من مثل فلسفة الإسلام في الملكية: الله هو المالك الحقيقي مالك الرقبة في الثروات والموارد والأموال ونظرية الاستخلاف وخلافة الإنسان عن الله - استخلاف الإنسان من حيث هو إنسان مستخلف عن الله في الموارد والثروات والأموال له فيها ملكية مجازية - ملكية الانتفاع المحكومة في الحيازة وفي الاستثمار وفي الإنفاق بمقاصد الشريعة التي هي بنود عقد وعهد التوكيل والاستخلاف

إذا نحن درسنا الاقتصاد في ضوء هذا «الإطار الإلهي» تكون قد أقمنا علمه على ساقين واستقينا معارفه من مصدرين «كتاب الوجود» الموارد والاحتياجات و«كتاب الوحي» الفلسفة الإسلامية في الأموال وهنا تتحقق «الإسلامية للمعرفة» الاقتصادية على النحو الذي يميزها عن نظيراتها في الفلسفات والمناهج المادية والوضعية

وإن حوار نبي الله شعيب عليه السلام مع قومه أهل «مدين» والحوار الذي أرسى قيمه والذي حكاه القرآن الكريم حول المفاهيم الاقتصادية، وضوابطها الشرعية، وحول

التصنيفات والمعاملات الاقتصادية، المضبوطة بالضوابط الدينية أو المتحررة من هذه الضوابط في هذا الحوار لهو نموذج لهذا الذي نقول.

فشعيب عليه السلام كان يرى أن التوحيد والإيمان والصلاة والعبادة في الدين يقتضي ضوابط للسلوك الإنساني في الاقتصاد والمعاملات المالية: توفية المكاييل والموازين بالقسط عدلا والامتناع عن بخس الناس أشياءهم في البيع والشراء والتحرز من الإفساد في الأرض أي إنه دعا قومه إلى إقامة العلاقة بين الدين وبين الاقتصاد في الفكر والتطبيقات.

أما قومه الذين عصوه فإنهم كانوا يرفضون الربط والعلاقة بين الدين وبين المعاملات المالية والاقتصادية، فهو يريد اقتصادا مضبوطا بضوابط الدين قائما على معارف الوحي والواقع، كليهما بينما هم يريدون الفصل ما بين الدين والاقتصاد!

هو يريد «إسلامية الاقتصاد» فالدين عند الله الإسلام في جميع الرسالات وعند كل المرسلين وهم يريدون تحرير الاقتصاد من العلاقة بالإسلام!

والقرآن الكريم يحكي هذا الحوار المحدد لهذه القضية والذي دار بين نبي الله شعيب عليه السلام وبين قومه فقال:

﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط (84) ويا قوم أوفوا

المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين (85) بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ﴾[1]

لكن قومه اعترضوا مستنكرين دعوته الإسلامية لاعتبارات وضبط المعاملات المالية بضوابط الدين فدافعوا عن مذهب تحرير الاقتصاد من العلاقة بالدين فقالوا: ﴿يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد﴾[2]

لقد عجبوا من ربط دعوته بين التوحيد والعبادة وضبط التصرفات المالية بضوابط الدين ودعوة التوحيد.

فرد عليهم شعيب، معلما إياهم أن الدين الذي جاء به نبيه لأمته يقتضي ضبط الأموال التي هي رزق الله بضوابط الإصلاح الديني، وذاكرا لهم أنه يريد لهم الالتزام بما يلتزم هو به، حتى لا يحل عليهم غضب الله الذي حل بالأقوام السابقين من قبل كقوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام، فقال:

﴿يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب (88) ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد﴾[3]

(1) سورة هود: 84 – 86
(2) سورة هود: 87
(3) سورة هود: 88، 89

على هذا النحو حكى القرآن الكريم ذلك الحوار الذي دار بين شعيب وبين قومه حول علاقة كتاب الوحي .. وفقه الاقتصاد!

فإذا حسب الإنسان نفسه سيد هذا الكون، وعنق الإطلاق والأبدية الكاملة لحريته في التصرفات لماليته ولتدابير الاقتصادية فلن يراعي في طرائق الكسب والاستثمار والإنفاق إلا منفعته ولذته ومصلحته وفق معاييره الإنسانية المحصنة في المنفعة واللذة والمصلحة وهنا يكون الاقتصاد متحررا من ضوابط الوحي والدين

أما إذا آمن الإنسان بأنه ليس سيد هذا الكون، وإنما هو خليفة عن سيد هذا الكون وبارئه وراعيه - سبحانه وتعالى - وأنه ليس مالك الرقبة - المالك الحقيقي والمطلق الحرية - في الأموال والموارد والثروات، وإنما هو وكيل ومستخلف في هذه الموارد والأموال والثروات، فإن طريقته عندئذ في الكسب والاستثمار والإنفاق لابد وأن تكون - إذا أراد أن يكون مطيعا لمن استخلفه - محكومة ومضبوطة بالإطار وبفلسفته والمبادئ المتمثلة في عقد وعهد الاستخلاف، أي الفلسفة الشرعية في الأموال. وهنا ينضبط الاقتصاد بكافة الضوابط الإسلامية التي جاء بها الوحي .. وبيانه في الكسب والاستثمار والإنفاق من مثل فلسفة الإسلام في الملكية والحيازة، وأحكامه في الكنز والاحتكار والفروض التي فرضها الله في الأموال والقواعد التي قررها للمعاملات .. إلخ

وهنا [نقوم] بإقامة هذه العلاقات بين آيات الاقتصاد في كتاب الوحي وبين سنن الاقتصاد في كتاب الكون لتحقيق إسلامية الاقتصاد في المعرفة وفي التطبيق.

وإن نحن درسنا علم السياسة بمعناه المتداول والعلاقات الدولية باعتبار السياسة هي [فن الممكن] والتصور والتعبير بما هو ممكن من الخيارات [illegible] والمحسوبة المحققة للمصلحة [illegible] بالمنفعة مطلق المنفعة، واقترن بهذا العلم عند كونه من ممارسة تقاليد الحكم وعلم السلطة أو الدولة وفرع العلم الذي يبحث أصول الحكم وتنظيم شئون الدولة تدبيرا يعد فيه بالجودة والإتقان.

وإن نحن درسنا علم السياسة باعتبار أن هذه هي مضامينها ومقاصدها كانت السياسة متحررة ومنحلة من الإسلامية فلا تكون السياسة عندئذ سياسة شرعية. وهذا منحى في دراسة السياسة هو الذي جعلها في التصور الغربي نفعية صرفة [illegible] دون تقييد بقيم ومقاصد الشريعة، فبررت عندهم كل الوسائل بصرف النظر عن مدى أخلاقية تلك الوسائل فكان الصراع والقوة أهم العناصر الرئيسية في المفهوم الغربي للسياسة[1].

[1] انظر في هذه المصادر: المعجم الوسيط [illegible] القاهرة سنة 1969 [illegible] سنة 1960م و[القاموس المحيط] [illegible] القاهرة سنة 1969م و[الموسوعة السياسية] [illegible] سنة 1983م.

أما إذا نحن أقمنا العلاقة بين «الإسلامية» وبين «المعرفة السياسية» أي الصلة بين «الشرعي» و«المدني» في هذا العلم الذي هو من العلوم الإنسانية المدنية، فإننا سنضبط مفاهيمه وممارساته بالمنطلقات والمقاصد الشرعية.

وهذه العلاقة بين «الشرعي» و«المدني» لن تجعل السياسة دينا خالصا ومقدسا ثابتا - لأنها ليست من أركان الدين وأصول الاعتقاد وثوابت الشرع، ولم ينزل الوحي وينطق الرسول ﷺ بكل ما هو لازم لها وفيها. كما أن إقامة هذه العلاقة بين «الإسلامية» وبين «المعرفة السياسية» لا تعني بحال من الأحوال تجاهل الواقع السياسي وخبراته ولا التقليل من مكانته في المعارف السياسية ولا تجاهل المصلحة والمنفعة المستفادة من علم السياسة. وإنما تعني هذه العلاقة الإضافة إلى الواقع وضبط خبراته وليس إلغاءه وتجاهله، والعض من قيمته وضبط «المصلحة والمنفعة» وليس تجاهلها. فهي تضيف إلى «الواقع» كمصدر للمعرفة السياسية مصدر «الوحي» بسننه الإلهية في الاجتماع الإنساني وبالقيم وتكشف المقاصد الشرعية والحكم المراد تحقيقها من الاجتماع والمجتمعات، وتضبط «المصلحة والمنفعة» حتى تكون «المصلحة الشرعية المعتبرة» وليس المصلحة المطلقة والمتحررة من أخلاقيات الدين.

فهي العلاقة التي تضيف وتضبط: تضيف «للواقع المادي» و«للمعرفة الحسية» وتضبط «الخبرات» المحكومة بالمقاصد الشرعية التي حددها الإسلام للسياسة أساس

وعندئذ لن نجد السياسة «فن الممكن» من خيارات الواقع هكذا بإطلاق.. وإنما سنجدها «الأفعال والتدابير التي تكون الناس معها أقرب إلى الصلاح» بالمعنى الإسلامي.. «وأبعد عن الفساد» بالمعنى الإسلامي.. «حتى وإن لم ينزل بها الوحي أو يشرعها الرسول» - كما قال واحد من علماء السلف - هو ابن عقيل البغدادي [٤٣١ - ٥١٣هـ ١٠٤٠ - ١١١٩م]

وسنجد في السياسة عند «الكليات» و«المبادئ» الثوابت التي تمثل «أطر» «الجزئيات» «الفروع» المتغيرات التي تتطور بحسب «المصلحة الشرعية المعتبرة» ووفقا لاختلافات الأزمان والأماكن وتبدل العادات والأعراف[1]

وفي «السياسة الشرعية» سنجد للدولة - السلطة - معنى متميزا عن معناها في «السياسة المدنية» غير الإسلامية فهي ليست الجهاز المحايد بين طبقات وفرقاء متناقضة وليست جهاز القوة والقهر للطبقات والفرقاء المحرومين من السيطرة والسيادة فيها وإنما هي «دولة التوازن» بين الفرقاء المتمايزين المتعددين في مجتمعها فالتوازن هو التوسط أي العدل بين الفرقاء المتعددين

● ففي قانونها توازن بين مبادئ الشريعة التي هي حاكمية الله - «الإسناد» - وبين فقه المعاملات «الفروع» الذي هو

١ انظر ابن القيم [إعلام الموقعين] ج ٤ ص ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٦ طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م و[الطرق الحكمية في السياسة الشرعية] ص ١٧، ١٩ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م

تعود لاجتهاد مجتهدي الأمة بما ينمو ويتطور مواكبة للمصالح الشرعية المعتبرة

• وعلى قد ما [illegible] ولاة الأمر [illegible] طاعة الأمة [illegible] الأمور [illegible] مرتبة [illegible] هي مرتبة الاجتهاد [illegible] فلا عصمة لمجتهد [illegible] الأمة فلاجتماعها العصمة [illegible] لا تجتمع على ضلالة[1] [illegible] الرسول الذي يوحى [illegible] ؟ [illegible] الذي هو معصوم فيه لا ينطق عن الهوى [illegible] بالاجتهاد البشري [illegible] التدابير [illegible] وعلى هذه الاجتهادات [illegible] في مرض موته عندما صعد المنبر وخطب الناس [illegible] فيها: [illegible] من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد[2] مني، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد مني، ومن أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يخشى الشحناء من قبلي فإنها ليست من شأني»[3].

[illegible] العصمة للأمة [illegible] على [illegible] الحكم في الاجتهاد [illegible] حتى ولو كان نبياً ورسولاً،

1. [illegible]
2. أي فليقتص.
3. [السيرة النبوية] لابن كثير ج ٤ ص ٤٠١ [illegible] ج ١ ص ٣٨٨ [illegible] تحقيق د. محمد عمارة - طبعة بيروت سنة ١٩٧٧م

• وتستمد الشورى الأمة مقومات السيادة وحاكمية الشريعة

التي هي وضع النبي [illegible] وقد كانت الشورى في سيرة [illegible] على

مرتبطة بها وصيرورة شرعية واحدة [illegible] حتى [illegible]

لها [illegible] في [illegible] في موضعه حتى على

رسول الله ﷺ [illegible] وشاورهم في الأمر [illegible] وقد [illegible] الأمة

[illegible] وأمرهم شورى بينهم

ومما رزقناهم ينفقون (2) وفي سيرة [illegible]

ورسوله [illegible] وقد [illegible] في

[illegible] والشورى [illegible] في كل [illegible] ورسول الله

ﷺ قال لأبي بكر وعمر: لو اجتمعتما في مشورة

ما خالفتكما (3) [illegible] لو

كنت مؤمرا أحدا دون مشورة المؤمنين لأمرت [illegible] عليهم

عبدالله بن مسعود (4)

وعلاوة على [illegible] الأمة [illegible] الشورى لأمة

[illegible] الجماعة [illegible] على

الأمة [illegible] مشروطة ومرهونة [illegible] الدولة [illegible]

[illegible] لم [illegible] على أولي الأمر

[illegible] على أولي الأمر [illegible] في الموضعين [illegible]

فيهم هذا المصطلح في القرآن الكريم لقد اختار [illegible]

(١) سورة آل عمران ١٥٩

(٢) سورة الشورى ٣٨

(٣) رواه الإمام أحمد

(٤) رواه الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد

«الجميع لا الفرد» وربط الطاعة لأولي الأمر بكونهم من الأمة. ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾(١) ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾(٢) فهو يزكي الفلسفة الاجتماعية الشورية للدولة، ويشترط لطاعة أولي الأمر من غير الأمة، أن يكونوا ثقات أي موضع الاختيار ومصدر الثقة وأهلاً لقيادة الأمة وسياسة مجتمعها وتمثيل مصالحها الشرعية المعتبرة.

● ونجد في إطار هذه «الدولة» التعددية في إطار الوحدة تعددية أهل الشرائع الدينية المختلفة في إطار الإيمان الديني وتعددية التيارات التي تتنوع اجتهاداتها في الفروع داخل إطار الوحدة في الأصول..

نجد ذلك - ومثله كثير - في «دولة» السياسة الشرعية، التي تتميز «معرفتها السياسية» الإسلامية، أي فقه العلاقة بين ما هو «شرعي» وما هو «مدني» في هذا العلم من علوم الإنسانية.

● وإذا نحن رتبنا موضوعات «علم الزراعة» - مثلاً - وقدر وضعه ومباحثه فإن حقائق هذا العلم ولو أنه - ككل واحد من العلوم الطبيعية - لن تتمايز بتمايز معتقدات وحضارات وقوميات وثقافات الدارسين.. ففي العلوم التي تتميز

(١) سورة النساء ٥٩
(٢) سورة النساء ٨٣

موضوعاتها ، بالثبات والحياد تتميز حقائقها وقوانينها هي الأخرى بالثبات والحياد فهي مشترك إنساني عام ليس فيها شرقي وغربي أو إسلامي ومسيحي أو مؤمن وكافر ، فالواقع هو مصدر معرفتها والمحسوس هو أدوات المعرفة فيها

ولكن إسلامية العلم الزراعي تعني عندما نقيم العلاقة بين المقاصد الشرعية من الزراعة وبين تطبيقات وتوظيف حقائق وقوانين هذا العلم الزراعي أي عندما نقيم العلاقة بين خصوصيته الإسلامية في فلسفة العلم الزراعي ، وبين حقائق وقوانين الزراعة التي هي مشترك إنساني عام

فحقائق وقوانين العلم الزراعي ككل حقائق وقوانين العلوم إذا نحن وظفناها في دعم الإيمان بخالق هذا الكون الذي أمرنا بالنظر والتدبر والذي أعاننا عليه هدت هذا الموقف إلى العلماء الذين هم أكثر خشية لله لأنهم الأكثر معرفة بأسرار العلوم الكاشفة عن بعض أسرار الله في الأكوان ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾(١)

أما إذا لم نوظف الحقائق العلمية هذا التوظيف الإيماني فإنها قد تقود وتفضي إلى علماء لا يعلمون سوى ظاهر من الحياة الدنيا ومن ثم يقودهم الغرور إلى تأليه العلم والعلماء باعتباره دين العصر ، وباعتبارهم الروحانيين الجدد وقد شهدنا عندما تقدمت العلوم في أوربا حديثا وفي ظل

(١) سورة فاطر : ٢٨

«العادية والوصفية [illegible] علماء [illegible] مبكرة فقالوا [illegible] [illegible] علو كبير

ووجه [illegible] فكما يمكن توظيف [illegible] [illegible] الأمر [illegible] توظيف [illegible] في تحقيق مقاصد الشريعة [illegible] [illegible] في المحرمات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وتوظيف [illegible] الإسلامي [illegible] وقوانين [illegible]

[illegible] كلمة [illegible] توكيد [illegible] الذي يستخدم في [illegible] الأرض الزراعية [illegible] [illegible] في [illegible] الذي هو [illegible] [illegible] والفلسفات [illegible] «السماد» خصوصيات حضارية!

[illegible] استخدام وتوظيف [illegible] [illegible] المقاصد [illegible] الحركة [illegible] [illegible] [illegible] الأرض [illegible] [illegible] هذه الكلمات.

• فالحفاظ على التوازن بين المكونات [illegible] العناصر [illegible] للأرض الزراعية [illegible] في الإنتاج الزراعي وقدرتها على العطاء [illegible] موقف وفلسفة [illegible] استخدام «كيمياء السماد» بالقدر الذي يحفظ هذا التوازن

أما فلسفة «قهر الأرض» النابعة من فلسفة «قهر الإنسان للطبيعة» لتعطي أكبر عائد مادي ووفر محصول في أقصر وقت بصرف النظر عن الأذى الذي يصيبها عندئذ تتحول تركيبيا نتيجة الضغط على الطبيعي قبيل وعلى حساب مستقبلها والذي هو مستقبل الأجيال الآتية التي تحيا عليها. أما هذه الفلسفة - فلسفة قهر الطبيعة - فتعتمد على معدلات الوفرة المادية في اللحظات الآنية فلسفة «والعلم من الحاضر الآنية» بأي ثمن وبصرف النظر عن النتائج فإنها هي التطبيقات التي تتغاير وتختلف باختلاف الفلسفات والعقائد والحضارات.

ويتضح هنا أن مشروع الغابات هو السبيل في فهم الغابات وبهذا المشروع قوامه وحقيقته العلمية الغابة والتنمية كما أن قطع أشجار الغابات هو السبيل الذي يحصل على الخشب وسبب تنميته وقوته العامة وليس هناك مغايرة في حقائق وقوانين المشروع للغابات ولا في حقائق وقوانين الفطرة لا تختلف باختلاف مذاهب الأمم والحضارات والديانات.

لكن إزالة الغابات وتجريد الأرض منها لمشروع خاص بالمختصين الأخرى أو الاستمتاع بالخشب أو لإقامة المشروعات غير الزراعية عليها أو لإمدادها بالتلوث بالحروب دون عناية العمل الثوري الذي يحفظ وجودها عليه ويحقق به مصلحة وإرادته هي فلسفة مدمرة في الصراع بين الطبيعة، وفي التعامل مع البيئة والمحيط، إنها فلسفة التي

نشهد اليوم آثار شيوع تطبيقاتها في صور الاختلال بتوازن البيئة، الأمر الذي يجر على الإنسانية بكوارث والمخاطر الجسام

إن الفيضانات والسيول التي تعاني منها بلاد عديدة في شبه القارة الهندية، لها علاقة عضوية بتخريب غابات الهملايا من عدد تها وإن الجفاف أساسي عن نقص مواعيد الأمطار التي تسقط على بلاد القارة الأفريقية هو نتيجة مباشرة لتجريد هذه القارة من غاباتها!

ومثل هذه الأمراض تحدث ونسبه في أمريكا اللاتينية في حوض الأمازون – وغيرها من المناطق التي وظفت فيها حقائق العلم الطبيعي وقوانينه لتحصيل أكبر عائد مادي في أقصر وقت، بصرف النظر عن تأثيرات ذلك على توازن البيئة والمناخ

وقس على ذلك قضية «كيمياء المبيدات الحشرية» تلك التي لا تتغير هي الأخرى حقائق علمها وقوانين تجاربها ولكن فسدت توظيفها، والسر ليس استخدامها هي التي تتغير وكانت تعرف هذه التطبيقات قامت حفاظ على توازن الحياة والأحياء كل الحياة وحماية الأحياء وعلى عناصر الوجود كل ظواهر الوجود على النحو الذي يؤدي فيه هذا التوازن وظيفته في الوجود ومن الحفاظ على الوجود ومن حال نحو الإنسانية وتطبيقه فيما تحكم فيه الفلسفة الغربية الحديثة من تطبيقات تعرف ما تعنيه إلا من الثمرات!

فحقائق العلم الطبيعي لا تتغاير وقوانينه لا تختلف بتغاير واختلاف العقائد والفلسفات والحضارات.. لكن فلسفة تطبيقه، ومقاصد توظيفه هي التي تختلف وتتغاير باختلاف المعتقدات وبتغاير الحضارات.

إننا مدعوون – انطلاقًا من الإسلامية فلسفة للعلم الطبيعي – إلى التفكر في آيات كتاب الوحي التي أشارت إلى [illegible] للأرض ﴿ألم نجعل الأرض مهادًا * والجبال أوتادًا * وخلقناكم أزواجًا﴾(١)

ونحن مدعوون كذلك إلى النظر في الآيات التي تتحدث عن التوازن والميزان بين كل أجزاء الخلق وسائر أصناف المخلوقات.

* * *

إن الوحدانية في الألوهية – ومعنى التوحيد – هي بالدليل العقلي مصدر النظام والاتساق في المخلوقات ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون * لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾(٢) [illegible] والتوازن للأزواج المختلفين في كل عوالم الموجودات تجلي حقيقتها أنها متعددة للتنوع ﴿وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارًا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾(٣) ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾(٤).

(١) سورة النبأ ٦ – ٨ (٢) سورة الأنبياء ٢١، ٢٢
(٣) سورة الرعد ٣ (٤) سورة الذاريات ٤٩

تلك هي الحقيقة في المخلوقات والتوازن بين قواها هي المقتضية للعدل والصلاح في هذه المخلوقات وصدق الله العظيم يقول: «كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى»[1]

والحقيقة في طبقات الأرض وفي مكوناتها وقيام التوازن بين هذه الطبقات وهذه المكونات والحقيقة في طبقات السماء وفي مكوناتها وقيام التوازن بين هذه الطبقات وهذه المكونات هو المعبر عن قيام إسلامية المعرفة في فلسفة علوم الطبيعة التي تدرس ظواهرها وقوانينها وما فيها من ذرات وطاقات

وهذا هو معنى «إسلامية فلسفة العلم الطبيعي» التي تقف عندها إسلامية المعرفة في العلوم الطبيعية ولا تتعدى إلى حقائق وقوانين هذه العلوم التي هي بنت التجربة كمصدر أول لاكتشافاتها ولتطورها

وقس على هذا المثال ما نعنيه بإسلامية المعرفة في العلوم والمعارف الطبيعية الأخرى فحقائق وقوانين هذه العلوم لا تتغير بتغاير المعتقدات والحضارات، لكن توظيفها يختلف باختلاف فلسفة العلم التي يعتنقها أهل التطبيق والتوظيف لهذه الحقائق والقوانين ومثل ذلك الطب والصيدلة والكيمياء والفيزياء وغيرها من العلوم المحضة الكمية

(1) سورة العلق ٦، ٧

● وإذا نحن نظرنا إلى علاقة الإنسان نجدها نعمة وقوة
التي سخرها الله سبحانه وتعالى لبني الإنسان إكراما له
وتكريما، وفي هذا نعرض بعض الآيات الكثيرة في القرآن
الكريم: ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج
به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم
الأنهار ۝ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل
والنهار﴾[1] ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾[2] ﴿وهو الذي سخر
البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر
فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾[3] ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في
الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض
إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾[4] ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما
في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من
يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾[5] ﴿الذي جعل لكم
الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون ۝ والذي نزل من
السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون ۝ والذي خلق
الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ۝ لتستووا على
ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا
هذا وما كنا له مقرنين﴾[6] ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه

(١) سورة إبراهيم ٣٢، ٣٣ — (٢) سورة النحل ١٢
(٣) سورة النحل ١٤ — (٤) سورة الحج ٦٥
(٥) سورة لقمان ٢٠ — (٦) سورة الزخرف ١٠ - ١٣

بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٢) وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[1]، ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين﴾[2].

إذا نظرنا إلى علاقة الإنسان بهذه الظواهر والقوى التي سخرها الله سبحانه وتعالى له فإننا نجد هذه العلاقة ما كانت إسلامية ضوابطها يغيرها عن حالتها إلا من تحرر من ضوابط الإسلام.

فاستثمار ظواهر الطبيعة وقواها وكنوزها بحسب هوى الإنسان وطبيعته في فلسفة هذه العلاقة والإخلال بعلاقات التوازن هو مما يتنافى مع المعنى الإسلامي لمصطلح التسخير، فتسخير الله هذه الظواهر والقوى والكنوز للإنسان.

فقيد «التسخير» هو سوق وقهر من الله لهذه الظواهر والقوى ولكنه بالنسبة للإنسان بمعنى الارتفاق، لقد سخرها الله لنا لنرتفق عنها وبها فنكون بذلك مرتفقين مرتفقا بنا، وإلا لما أوصانا النبي بالرفق بالحيوان، إذن تسخيره ليس لله وليس قهرا بل ترفق، وتدميره مما يتنافى مع حكمة خلقه وتسخيره للإنسان».

(١) سورة الجاثية: ١٢-١٣.

(٢) سورة الحج: ٣٦-٣٧.

تلك هي سلامة علاقات الإنسان بمظاهر الطبيعة وقوى الأرض بطبقاتها وبحارها وأنهارها وغاباتها وجبالها والسموات بطبقاتها وكواكبها ونجومها وأقمارها وما بين السماء والأرض من الهواء.

فهذه العلاقة الإسلامية تحفظ الإنسان لا سلامته وسلامته فقط وإنما يحفظ سلام وسلامة صفحات كتاب الكون عندما يحفظ على التوازن والاتزان والميزان في هذه «الصفحات» في هذا «الكتاب»!

ونحن إذا تأملنا مدلولات مصطلح «الميزان» وبعض مشتقاته في المواطن التي جاءت بها في القرآن الكريم، في سياق الحديث عن الطبيعة وقواها ومظاهرها وآياتها، فستكشف لنا خطر هذا المعنى لإسلامية علاقة الإنسان بهذه القوى والمظاهر والآيات التي سخرها الله وسخرها لهذا الإنسان: ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون * وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين * وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم * وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾(1). فحافظوا في علاقتكم بهذه الآيات الكونية على الميزان والقدر الإلهي.

﴿الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان﴾(2)، ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾(3)، فكما أنه

(1) سورة الحجر: ١٩ - ٢٢ (2) سورة الشورى: ١٧

(3) سورة الحديد: ٢٥

[illegible] بالحفاظ على [illegible] [illegible] على [illegible] كتاب الكون والوجود».

ومن [illegible] لا [illegible] [illegible] حقيقة [illegible] «[illegible] العلاقة [illegible] في «كتاب الكون»، يراها [illegible] هو تدبر الآيات الأولى من سورة الرحمن [illegible] خلق الإنسان (٣) علمه [illegible] والنجم والشجر يسجدان (٦) [illegible] ألا تطغوا في الميزان (٨) وأقيموا الوزن [illegible] والأرض وضعها للأنام (١٠) فيها فاكهة [illegible] فبأي [illegible] تكذبان [illegible] (٢٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٢٣) [illegible] كالأعلام (٢٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان» صدق الله العظيم.

[illegible] في «كتاب الكون» [illegible] [illegible] على هذا [illegible] [illegible] السلامة له ولآيات هذا الوجود.

(١) سورة الرحمن ١ - ٢٥

رية.

وبعد هذا التعريف واصبح للمصطلح «اسلامية المعرفة»

وبعد الاشارات الموجزة لاجابة سؤال: ما معنى هذه الاسلامية للمعرفة في العلوم الانسانية والاجتماعية وفي العلوم الطبيعية وفي علاقات الانسان بظواهر [illegible] الكون الوجود»

يستطيع [illegible] جوهر القضية وحقيقة الخلاف بين اسلامية المعرفة وبين لا اسلاميتها هو الاعتراف بوجود علاقة بين مصدر الوحي وبين مصدر الوجود كمصدرين للمعرفة الانسانية [illegible] او نفي وجود هذه العلاقة.

وبتعبير اخر هل هناك سبيل اخر غير الحواس وتجاربها [illegible] هو سبيل الوحي لادراك وتصور وضبط معارف الانسان في الوجود الطبيعي والانساني [illegible] ام ان الحواس وتجاربها هي مصدر المعرفة الحقة الوحيد في هذه العلوم وما عدا ثمراتها من المعارف هو «ميتافيزيقا» و«خيال»؟

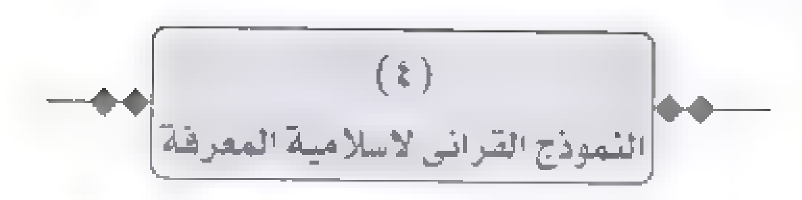
وصياغة اخرى للقضية نقول: ان الله سبحانه وتعالى [illegible] على محمد بن عبد الله ﷺ وحيه بالقرآن الكريم فكان موضوعا للعلوم الشرعية في حضارتنا الاسلامية ثم ولدت وتطورت وبحث المسلمون علومهم الدنيوية البشرية الحضارية، فهل كان للوحي وعلومه علاقات بعلوم

«الحضارة المدنية وتأثيرات فيها صنعتها مراحل متفاوتة وصنعتها على أنحاء مختلفة بصفة الوحي وضوابط الشرع الإلهي إذ إن العلاقة متفككة والصلات مقطوعة بين بناء الإيمان الديني وبناء التمدن الحضاري»

إن القائلين بـ إسلامية المعرفة يجيبون على هذا السؤال بـ نعم، لأنهم لا يفصلون في مصادر المعرفة بين كتابي «الوحي» و«الوجود».

بينما خصوم إسلامية المعرفة يجيبون على هذا السؤال بـ لا، لأنهم لا يرون للعلوم الحضارية - بل وحتى للعلوم الدينية - مصدرا سوى الواقع الذي تدركه الحواس، فلا شيء غير الواقع، ولا سبيل للمعرفة سوى الحواس.

تلك هي القضية قضية إسلامية المعرفة في حقيقتها وفي جوهرها.



(٤)
النموذج القرآني لإسلامية المعرفة

وكما سبقت إشارتنا، فإن إسلامية المعرفة كمنهج ثقافي ورسالة فكرية، وكمنهج متميز في دراسة المعرفة الإسلامية، ليست جديدة جدة هذا المصطلح الذي تعارفنا عليه، لأن علماء عرفتهم حضارتنا الإسلامية واعتمدوا وتبنوا هذا التكامل الإسلامي للمعرفة الغيبية والحسية، بينما المعرفة عند الغربيين والمشركين الذين لم يروا للمعرفة مصدرًا سوى الواقع المحسوس، ولم يتصوروا لهذه المعرفة أدوات ووسائل سوى الحواس. عرفت حضارتنا هذا المنهج المتميز منذ ظهور الإسلام.

وشاهدنا على هذه الحقيقة هو كتاب الإسلام الأول القرآن الكريم.

وفي اعتقادنا أن بالإمكان، بل إنه لواجب، استخلاص منهج كامل مدعم بالشواهد لإسلامية المعرفة من القرآن الكريم.

ولكن مقام هذه الدراسة لا يسمح بالإطالة في عرض هذا النموذج القرآني لمنهج إسلامية المعرفة، فلنكتف من الإشارات لعدد من الآيات القرآنية التي عرضت لهذه القضية كقضية لإقامة هذا الدين، وتبين مذاهب القرآن في هذا الموضوع.

● فنحن عندما نتأمل قول الله سبحانه وتعالى [illegible] ثم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور [illegible]

[illegible] المعرفة [illegible] المحسوس [illegible] لا يسر من [illegible] وهذا هو المعرفة الحسية [illegible] سوى «العين» = «الحاسة»

[illegible] المنهج الإسلامي [illegible] المعرفة [illegible] الموجود [illegible] الوحي [illegible] ويرى في العوالم عالم الغيب وليس فقط عالم الشهادة [illegible] المعرفة [illegible] المحسوس [illegible] هذا المنهج الإسلامي [illegible] العقل [illegible] الحقيقة الإنسانية [illegible] كما عرفه الإسلاميون [illegible]

● ونحن عندما نتأمل قول الله سبحانه وتعالى [illegible] في الأرض [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] بالحواس» وحقائق [illegible]

[illegible] على سطح [illegible]

[illegible] محسوس [illegible]

[illegible] في كتاب الوحي [illegible]

[illegible]

«محسوسا» في كتاب «الوجود»[1]

[illegible]

[illegible] الوجود [illegible]

الدنيوي – وحده.

[illegible] في المعرفة [illegible] الوحي

و الوجود [illegible]

الوجود [illegible] ولا [illegible] الحواس [illegible]

«العقل الإنسانية [illegible] الآخرة [illegible]

«الوحي» – نبأ السماء العظيم

(١) سورة الروم [illegible]

● وإذ نحن تدبرنا قول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢٣) وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(١)

فإذا نحن تدبرنا هذه الآيات، وجدنا نموذج ذلك الذي عبد الحس والهوى، فلم يسع إلى ما وراء المادة والواقع المحسوس، ووقف بعلمه دون العلم الإلهي الآتي بواسطة الوحي، أي وقف به في إطار العلم الدنيوي وحده، وحال بين سمعه وقلبه وبصره وبين تجاوز الواقع المحسوس.

فإذا جاءته آيات الله، غير المادية، وبراهينه التي لا تقف في البرهنة عند الحواس وحدها، ظل مقصورًا عليها مستمسكًا بالمحسوس وحده كمصدر وحيد للمعرفة، وبالحواس فقط كسبيل وحيدة للإدراك، وسأل طالبًا أن يأتي له بالموتى من آبائه لنرى منهم ونسمع - بالبصر والسمع الحسيين - ما يؤكد البعث وخبر النشور.. فهو يريد أن يعرف بالحواس معارف العالم غير المحسوس!

فمعرفة هؤلاء حسية - دنيوية - لا دينية - غير إسلامية - لا ترقى إلى العلم الذي هو إدراك الشيء على ما هو به وإنما مبلغها أن تقف عند الظاهر الذي لا يغني من الحق

(١) سورة الجاثية: ٢٣ - ٢٥.

شيئاً في بعض الأحيان، ولا يعني من الحق كل شيء في أحيان أخرى

● وعندما نتدبر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾[1]

عندما نتدبر هذه الآيات نعلم أن هذا الذي مر على القرية الخاوية على عروشها لم يدرك إلا ما تحسه الحواس، فلم ير من هذه القرية إلا الوقائع المادية المحسوسة، والذي لم يكن [illegible] المحسوس أمكن عقله ليس هذا الذي يدرك الخلق على [illegible] مرة أخرى، فلما بين له الله سبحانه وتعالى [illegible] المحسوس من حسه المادي ووقف عنده قال:

أعلم أن الله على كل شيء قدير

● وعندما نتدبر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ۝ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم (٧٨) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ۝ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ۝ أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾[2]

١ سورة البقرة ٢٥٩ ٢ سورة يس ٧٧ - ٨١

عندما نتدبر هذه الآيات نراها تعرض [illegible] التي لم [illegible] على وجه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المحسوس [illegible] [illegible] الحواس [illegible] القدرة على إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي [illegible] ولموت [illegible] محسوس [illegible] الحواس.

ولكنه وقف في مصادر المعرفة وأدواتها عند المحسوس و«الحواس»، لا يتعداهما.

● وعندما نتفكر في قول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا * وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا * قل كونوا حجارة أو حديدا * أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا﴾[1].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا * أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا﴾[2].

(١) سورة الإسراء ٤٨ - ٥١. (٢) سورة الإسراء ٩٨ - ٩٩.

عندما نفكر في هذه الآيات نجد كيف أن الذين لم يشهدوا بالحواس خلق [illegible] حتى [illegible] [illegible]

[illegible] لم يشهدوا [illegible] [illegible] [illegible] لأنهم قد أشركوا ولم يحصلوا [illegible] [illegible]

التي يحصلونها بالحواس

● وعندما نتدبر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون * ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون * أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون * هيهات هيهات لما توعدون * إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين * إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين﴾(٢)

عندما نتدبر هذه الآيات نرى كيف أفضى المنهج الحسي المادي بأصحابه إلى الإصرار على الكفر الصريح

لقد أعلن المشركون [illegible] لما لم يدركوا [illegible] [illegible] الحواس [illegible]

١ سورة الكهف ٥١

٢ سورة المؤمنون ٣٣ - ٣٨

مثل «السمع والابصار»

١ سورة المؤمنون ٧٨-٨٣

التراب والعظام»[1]

(١) سورة الصافات ١٤ - ١٧

الذي جعل أصحابه لا يدركون من الآيات ما وراء ما تدركه الحواس، فهم يستبعدون في السخرية من هذه الأمور غير المحسوسة حتى لقد حسبوها [illegible] لأنهم [illegible] أو [illegible] محض سحر خادع للحواس، وكيف أيضا لم يروا [illegible] بعد الموت [illegible] لأن ما تدركه الحواس من واقع تحول الأجساد إلى تراب وعظام!

هكذا وعلى هذا النحو وأمثاله عرض القرآن الكريم لكثير من الأمثال التي ضربها شواهد على قصور المعرفة الحسية وحدها عن أن تدرك ما يجب أن تدركه [illegible] وعجزها عن أن تتصور حقائق عالم الغيب [illegible] أو أن تحيط بما في كتاب الوحي وما السماء من حقائق لا يدركها الحواس وحدها.

عرض القرآن بهذه الأمثال القيمة لمعالم المنهج المتكامل في المعرفة، ذلك الذي يرى التكامل بين كتاب الوحي وكتاب الوجود مصدرين للمعرفة الإنسانية، ويعتمد كل سبل الإدراك والتصور تحصيلا للمعارف والعلوم على اختلاف مصادرها.

فهو المنهج الذي يقيم العلاقة بين الوحي والوجود [illegible] الشرعي والعلمي [illegible] منهج إسلامية المعرفة.

[illegible] القرآن الكريم وهو كتاب المسلمين الأول [illegible] خرجت حضارتهم [illegible] واستقيم [illegible] كان ولا يزال المصدر الأول لصياغة هذا المنهج الإسلامي المتميز في المعرفة

● فهو يطلب منا أن ندرك ونتدبر آيات الكتاب الموحى المقروء «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها»(1) والتدبر هنا لا يدركه الإنسان بمجرد الحواس ولا بمجرد النظر البصري ولا بمجرد الاستماع ليتحقق به التدبر المطلوب، وإنما هو الفهم والربط من عقول أولي الألباب «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب»(2) وهنا يجب أن يكون العقل الناقد العقل أداة التدبر والتذكر في آيات هذا الكتاب الكريم.

● وهو القرآن الكريم يطلب منا التدبر والتفكر في آيات الكتاب الكوني المنظور «أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير * قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير»(3) «إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون * فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم * وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون * وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون * وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون»(4) فالذين يذكرون الله قياما وقعودا

(1) سورة محمد 24
(2) سورة ص 29
(3) سورة العنكبوت 19، 20
(4) سورة الأنعام 95 - 99

وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾[1] ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾[2] ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[3]

● من هنا يعلمنا القرآن الكريم أن كلا من هذين المصدرين للمعرفة يتعين أن يكونا شرطين للنبي وأداة للهداية وتدبير إلهي

فإذا كان القرآن الكريم كتاب الوحي هو الاطلاع الإلهي وإذا كانت السنة النبوية الثابتة الصحيحة هي التبيين النبوي لهذا الاطلاع الإلهي فنحن قد عرفنا وتلقينا هذا المصدر للمعرفة من النبوة والرسالة المعصومة

على حين نحن نتلقى علوم الكون والإنسان من الحكمة التي هي وفق التعريف النبوي لها الإصابة في غير النبوة[4] ووفق المعنى اللغوي لها معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم»[5]

فنحن نتلقى من الرسول كتاب الوحي ونستخلص بالحكمة علوم الكون والقرآن يعلمنا أن كلا منهما

(1) سورة آل عمران ۱۹۱ (2) سورة الروم ۸
(3) سورة النحل ٤٤
(4) الحكمة: الإصابة في غير النبوة [illegible]
(5) ابن منظور [illegible]

«الكتاب» و«الحكمة» من عند الله مصدران للمعرفة الإنسانية ومجالان لمنهج واحد في استخلاص واستنباط وإدراك وتصور المعارف والعلوم ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾(1) ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾(2).

إن اعتماد كتاب الوحي مع كتاب الوجود مصدرين للمعرفة لا يقف بحريتنا عند إضافة معارف عالم الغيب إلى معارف عالم الشهادة التي نستمدها من كتاب الوجود وإنما يضيف هذا الموقف إلى المعارف الإنسانية عن عالم الشهادة إضافات كثيرة وعظيمة مصدرها كتاب الوحي أيضاً فكتاب الوحي الذي أقر بأن عالم الغيب قد عرض لنا الكثير من السنن والقوانين التي تحكمه وتهدي به الإنسان

الناظر في كتاب الوجود

وإذا كانت السنن الخارقة للعادة وهي خارقة «للعادة – العادة» وليست خارقة للقوانين المعقولة قد اختص الله سبحانه وتعالى بها الذين اصطفاهم من الأنبياء والرسل إقامة للحجة وتمييز الحق عن الباطل فإن السنن الجارية هي القوانين التي وضعها الله سبحانه وتعالى في الوجود الطبيعي والإنساني ودعانا إلى التعلم لكي نكتشفها ونرى عملها

(1) سورة البقرة: 151
(2) سورة البقرة: 231

عندئذ ورد في الكتاب الوحي الصحيح ولا شك [illegible] به وعليه فكل أهل المعرفة مدعوون إلى [illegible] [illegible] شرعية [illegible] في عالمي [illegible] و[illegible]

وإذا كانت [illegible] إلى [illegible] هذه [illegible] التي عرض لها القرآن الكريم في [illegible] انتشار [illegible] [illegible] إلى [illegible] من هذه السنن [illegible] على الاجتماع الإنساني [illegible] صورة المعرفة القرآنية في عالم الشهادة، وكتاب الوجود.

• فمن القرآن الكريم نتعلم سنة الاقتران الدائم بين المدن والرسالات الإلهية وبين الحاضرة التي تمثل طور الاستقرار للإنسان، الأمر الذي يكشف لنا عن البعد الحضاري للدين والتدين [illegible] الغربة [illegible] مكان القرار والاستقرار [illegible] إمكانات البناء والتراكم في المعارف البشرية التي تتجسد تطبيقاتها في [illegible] وهذه حياة الحضارة على النحو الذي لا يتأتى في البادية بسبب الترحل.

﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون﴾(1)

فالرسول ﷺ قد بعث [illegible] في أم القرى، وكانت هجرته إلى [illegible] [illegible] البادية [illegible] [illegible] من [illegible] التحضر [illegible] والبدو إلى التحضر

(1) سورة الأنعام ٩٢

وستستمر الحضارة بالعداوة حتى لقد اعترف بعودة [illegible]
البشرية [illegible] عن هذه الحضارة التي انحرفت [illegible] الإسلام

وكانت [illegible]

[illegible] الحضاري [illegible]

وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما
كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون[2]

فهي [illegible] الاجتماع الإنساني [illegible] القرآن
الكريم

● ومن القرآن الكريم [illegible] لارتباط [illegible]
بالنتيجة [illegible]
والهلاك للاجتماع الإنساني والحضارات

وما كان [illegible] مهلك القرى [illegible]
[illegible] ولكن أكثرهم لا يعلمون [illegible]
وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا
قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها
رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون[3]

وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول
فدمرناها تدميرا﴾[4].

(١) [illegible]
(٢) سورة القصص ٥٩ (٣) سورة القصص ٥٧ - ٥٩
(٤) سورة الإسراء ١٦

﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ۝ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾(1) ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾(2)

[illegible] والتغني [illegible] وهلاك [illegible] متعلمها من القرآن الكريم

● [illegible] الصعيان

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾(3)

[illegible] معصية حتما إلى الطغيان؟

● وكما [illegible] القرآن الكريم [illegible] فساد [illegible] الأرضية والسماوية [illegible] لَفَسَدَتَا [illegible] وقانون [illegible] في جميع عوالم وأمم المخلوقات!

(1) سورة هود: ١١٦، ١١٧.
(2) سورة الشورى: ٢٧.
(3) سورة العلق: ٦، ٧.
(4) سورة الأنبياء: ٢٢.

[illegible] تعددية وتنوع [illegible] في عالم الطبيعة [illegible]

تعددية وتنوع في عالم [illegible] الإنساني

[illegible] وتنوع [illegible] في

إطار وحدة الإنسانية ووحدة الخلق

[illegible]

الإلهي الواحد

وتعددية وتنوع [illegible] في إطار وحدة الأصول

في العقيدة والشريعة..

وتعددية وتنوع الألوان واللغات في [illegible]

[illegible]

﴿[illegible] وجعلناكم شعوبًا وقبائل

لتعارفوا [illegible]﴾[1]

﴿ومن آياته [illegible] واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن

في ذلك لآيات للعالمين﴾[2]

﴿[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

تختلفون﴾[3]

(1) سورة الحجرات: ١٣ (2) سورة الروم: ٢٢

(3) سورة المائدة: ٤٨

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾(1).

• وإذا كان [illegible] الحوار [illegible] هو الذي يحافظ على الفرقاء [illegible] من [illegible] وحدة [illegible] ويحول [illegible] دون الصراع [illegible] التعددية [illegible] عندما ينفي طرف [illegible] الأطراف [illegible] والساحة» منهم.

وإذا كان [illegible] الصراع [illegible] التعددية [illegible] استبداد طرف بكل [illegible] الأطراف [illegible] التعددية [illegible] القرآن الكريم [illegible] الذي هو حرب اجتماعي - وليس الصراع الاجتماعي [illegible] هو سنة الله وحكمه وسببيه لإعادة التوازن [illegible] الحق [illegible] ظاهرة من ظواهر الاجتماع [illegible] لمواقع الفرقاء في إطار التعددية [illegible] وليس [illegible] من الفرقاء.

﴿فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾(2).

﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس

(1) سورة هود: 118، 119.
(2) سورة البقرة: 251.

بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾(١)

﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون﴾(٢)

﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾(٣)

تلك أمثلة [illegible] من سنن الاجتماع الإنساني [illegible] كتاب الوحي — القرآن الكريم — [illegible] مصدرا [illegible] في عالم الشهادة، يقوم دليلا على [illegible] عن عالم الغيب الذي لا تدركه تجارب الحواس.

* * *

وعلى درب [illegible] الإلهي — القرآن الكريم — [illegible] الهدي النبوي — سنة الرسول ﷺ.

فكما كان الوحي مصدرا لمعرفة العديد من السنن [illegible] الاجتماع الإنساني، ومعارف عالم الشهادة، كانت السنة النبوية التي هي [illegible] النبوي للوحي الإلهي، [illegible] الأخرى [illegible] معرفة [illegible] من سنن هذا الاجتماع.

• فالقرآن [illegible] والشوكة [illegible] القومية بالنسبة للرسول [illegible] الرسول [illegible] اقترنتا [illegible] التي [illegible]

(١) سورة الحج: ٣٩، ٤٠.
(٢) سورة المؤمنون: ٩٦.
(٣) سورة فصلت: ٣٤.

رسالته في مواجهة الخصوم المنكرين هي سنة من سنن الاجتماع الديني تنسحب إلى سنن الاجتماع السياسي نتعلمها من سنة رسول الله ﷺ.

ففي تفسير الطبري وابن كثير لقول الله سبحانه وتعالى عن لوط وقومه: ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾(1) يقول الرسول ﷺ: «قد كان (لوط) يأوي إلى ركن شديد [الملائكة] [illegible] ولكنه عنى لوط عشيرته فما بعث الله عز وجل نبيا بعده إلا بعثه في ثروة قومه». قال أبو عمر: «فما بعث الله عز وجل نبيا بعده إلا في منعة من قومه»(2)

• دور العصبية [illegible] في الحقبة المكية من الدعوة الإسلامية [illegible] في الانتصار للدعوة وحماية النبي حتى وكثير من أهل تلك العصبية على الشرك [illegible] والعباس بن عبد المطلب وحلفاء المؤمنين إبان المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية في شعب بني هاشم [illegible] شاهد على هذه السنة من سنن الله في الدعوات والرسالات.

• وقرن إقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي فريضة جماعية كفائية تعني عموم المشاركة الفعالة من المسلم في شئون الاجتماع الإسلامي [illegible] قرن إقامة هذه الفريضة بتقدم الاجتماع وازدهاره وإقرار الغالب والنكوص

(1) سورة هود: 80

(2) رواه الإمام أحمد

عنها يتدهور الاجتماع ويهلك نظامه وتسود المظالم والفوضى فيه. سنة من سنن الله في هذا الاجتماع تحدث عنها البيان النبوي في حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه(١) على الحق أطرا، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم تدعون فلا يستجاب لكم»(٢).

فقه مقاومة الجور والظلم هي التي تحفظ على الاجتماع الإنساني المعنى الحق لحياته: «إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك أنت ظالم فقد تودع منهم»(٣).

● وهذه السنة وثيقة الصلة - من خصوصيتها - بسنة أخرى نتعلمها من حديث رسول الله ﷺ التي تسري في قانون تعاقب العدل والجور والجبر والقسر في الاجتماع الإنساني.. وصلة هذا التعاقب بفقه فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يتحدث الرسول ﷺ عن سنة وقانون تعاقب العدل والجور على الاجتماع الإنساني فيقول: «لا يلبث الجور بعدي إلا قليلا حتى يطلع، فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره، ثم يأتي الله تبارك وتعالى بالعدل، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره»(٤).

(١) أي تحملونه على الحق قسرا.
(٢) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه والإمام أحمد.
(٣) رواه الإمام أحمد. (٤) رواه الإمام أحمد.

وكذلك الحديث الذي رواه الشيخان عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: يا رسول الله هل يكون بعد هذا الخير الذي أعطانا شر كما كان قبله؟

قال: نعم.

فسأله حذيفة: فما العصمة منه؟

- قال: بالسيف.(1)

● وهذا الحديث يكشف الجانب الآخر من حديث رسول الله ﷺ في مجال القوة قوة الاجتماع الإنساني قرين الفداء والجهاد والاستشهاد حتى وإن قل عدد الأمة لأنه مقترن بالوهن والإخلال بالجهاد عن الفداء والجهاد والاستشهاد حتى وإن كثر العدد، فرسول الله ﷺ يتحدث عن هذا السبب في حديث الذي رواه ثوبان رضي الله عنه والذي تداعت عليهم

«يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها»

فقالوا: يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟

قال: أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن

- فقالوا: وما الوهن؟

قال: حب الحياة وكراهية الموت(2)

(1) رواه أبو داود والإمام أحمد

(2) رواه أبو داود والإمام أحمد

● وإلى جانب من هذه الحقيقة تشير الأحاديث النبوية التي تتحدث عن سنة [illegible] بالأفراد والمجتمعات الناكصين عنه بالإذلال، فالرسول [illegible] لا يجعله [illegible] [illegible] [illegible] من الاجتماع [illegible] «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم»(1)

[illegible] والاستمرار [illegible] (2) [illegible] هذه الحياة [illegible]

وإلى هذه السنة يشير الحديث النبوي الذي يقول فيه ﷺ «لا يزال أهل الغرب أي أهل الشدة والجلد ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»(3).

ولما كان حمل السيف والرسالة قد جعل [illegible] هذه الأمة في يوم [illegible] الحقيقة [illegible] على حدود الإسلام حتى يوم الدين، فكانت سنة [illegible] من أفراد الأمة على [illegible] أمر الله «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك»(4)

(1) [illegible]

(2) [illegible]

(3، 4) رواه مسلم

وهذه الجماعة [illegible] الأمة هي التي عصمها الله من الاجتماع والاجتماع على الضلال «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة»[1].

فحفظ الله [illegible] الذي وعد به [illegible] «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»[2] يقتضي دوام أمته إلى دوام سنته، وذلك لا يتحقق دون دوام جهاد مع أعداء الإسلام والمسلمين «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله»[3].

هكذا ومن خلال هذه الإشارات إلى عدد من السنن والقوانين التي جاءت في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف [illegible] كيف كان كتاب الوحي [illegible] بلاغة القرآني وبيانه النبوي – مصدرًا للمعرفة في عالم الشهادة، والاجتماع الإنساني إلى جانب كونه المصدر لمعارف الإنسان عن عالم الغيب الذي لا تستقل بإدراكه العقول ولا تحصل معرفته بالحس والتجريب.

وأخيرًا فمن هنا لا نتأمل قول الله [illegible] سبحانه وتعالى ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾[4] ولا نرى وندرك [illegible] على وجه اليقين [illegible] كيف جعل

(1) رواه ابن ماجه (2) سورة الحجر 9

(3) رواه البخاري ومسلم والترمذي والإمام أحمد

(4) سورة الإسراء 36

القرآن الكريم سبل العلم والمعرفة متعدية لسبل الحسية فتشمل
السمع ... لتحصر [illegible] الحواس [illegible] وحدها [illegible] في سبل المعرفة
[illegible] تقول [illegible] عنه الحواس [illegible] [illegible] ...] عن العلم
والمعرفة [مسئولا]

[illegible] في سلامة معرفة المنهج القرآني في المعرفة وعلى
هذا النحو واجه به القرآن الكريم [illegible] مستوى [illegible]
الحسي في المعرفة [illegible] في دوائر المشركين
والدهريين

وعلى هذا النحو قدم «كتاب الوحي» [illegible] في هذا [illegible]
مصدرا للمعرفة في عالم الغيب والشهادة جميعا [illegible] مراتب
المعرفة وكشفت سننه عن كثير من السنن الكونية في [illegible]
كتاب الوجود [illegible] منها ما كان خاصا بعلوم الطبيعة
التجريبية والظواهر وعلوم الاجتماع الإنساني

فهو تمييز وهي صفات تحققها إسلامية المعرفة في هذه
الميادين

(٥)
وبعد الفتوحات الاسلامية

ولم يكد ينتهي القرن الهجري الأول، حتى كانت الفتوحات [illegible] الإسلامية [illegible] الدولة الإسلامية [illegible] [illegible] كل الديانات السماوية [illegible] [illegible] اللاهوتية [illegible] والفلسفية [illegible] دولة الإسلام [illegible] الدولة [illegible] قرون [illegible] [illegible] لا تمثل تحديًا عقليًا يبلغ مرتبة العقل [illegible] والأكثر [illegible] ثقافات [illegible] لا تبلغ [illegible] بحال من الأحوال.

وفي خضم [illegible] الفكري الذي شاع وازدهر بين الإسلام وبين [illegible] والنحل والفلسفات غير الإسلامية، تحقق

[illegible] د. عبدالمجيد عابدين، إسماعيل الصاوي - طبعة [illegible] [الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري] المجلد الأول ص ٧٥، ٨٤، [illegible] ترجمة د. محمد عبدالهادي أبو ريدة - طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦

[illegible] الإسلامية علوم وفد [illegible] من بعض [illegible]

نحو الفكري وثقافة الذهني [illegible] والعقلية

[illegible] العقلانية الإسلامية التي [illegible] العقلي [illegible]

[illegible]

[illegible] وتحول [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] على

عهد الرسول ﷺ

ولقد واجه المسلمون [illegible] واجهوا خلال هذا [illegible] الفكري مذاهب معرفة غير إسلامية [illegible]

معرفتنا الإسلامية واجهوا

- العقلانية [illegible] التي لم تعرف [illegible] [illegible] لعقلي حتى [illegible] كمراحل [illegible] المعرفة الحسية
- والعرفان [illegible] الذي اعتمد [illegible] [illegible]
- وواجهوا معرفة حسية مذاهب [illegible] التي كانت منتشرة في البلاد الأسيوية التي [illegible] الإسلام وانتصر أهلها للإسلام والمسلمين

وأمام هذه المقالات غير الإسلامية وفي مواجهتها وفي خضم التدافع الفكري معها شهدت حضارتنا فن التأليف في [مقالات الإسلاميين] ورائد. ونحن نراجع عناوين مؤلفات سلفنا في تلك القرون تلك الثروة الضخمة من المؤلفات التي تخصصت في الرد على مقالات أهل الديانات والمذاهب والنحل والفلسفات.

وعلى سبيل المثال

● فلدى رائد من رواد المعتزلة أبو حذيفة واصل بن عطاء [٨٠ - ١٣١هـ = ٦٩٩ - ٧٤٨م] يقولون: إنه لم يبلغ الثلاثين من عمره حتى كان قد فرغ من الرد على كل المخالفين، ومن عناوين الكتب التي ألفها [كتاب الألف مسألة] وخصها في الرد على مذهب المانوية الفارسية.

ومما نذكره كنموذج لهذا الفن [مقالات الإسلاميين] من وقائع التدافع الفكري بين الإسلامية المعرفية التي بلورها الإسلام وبين مذهب السمنية الوضعية غير الدينية في المعرفة الحسية - تلك الحوارات التي دارت بين علماء الإسلام وبين علماء فرقة «السمنية» - وهي مذهب من مذاهب الديانات الوضعية الهندية تنكر أهله الوحي والنبوة والرسالة ويقولون: لا طريق للعلم سوى الحس[1].

(١) التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون - طبعة الهند سنة ١٨٦٢م.

[illegible] المعرفة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

التي يصدق عليها هذا الاصطلاح[1]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

– فقال لا

[illegible]

هذه المشاعر[2]

– قال لا

[illegible] قال كل المعروف لا يخرج عن [illegible] وليس معبود[illegible]
منها، فقد دخل في المجهول

فسكت جهم

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

على هذا النحو [illegible] على هذه [illegible]

يقول

[illegible]

[illegible]

[illegible] المعروف لا يخرج عن [illegible]

[illegible]

[illegible]

يغيره.»

هو في هذا الجزء من هذا النص يقدم واصل بن عطاء الصفة الأساسية من نظرية المعرفة فهو لا ينكر معرفة الحسية ولكنه لا يقتصر عليها وإنما يحيط [illegible] ونبه [illegible] الحواس [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] والعلوم غير [illegible] والتي لا تحصل لنا [illegible] الحس والحواس.

والدليل لغة هو المرشد والكاشف، واصطلاحا هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، هو الذي يقود الذهن إلى التسليم بحقيقة قضية كانت موضع شك من قبل، وقد يكون مجرد أمارة أو ظاهرة معينة أو شهادة شاهد أو غيره من الاستدلال المنطقي(1).

فالدليل ليس فقط الحسية التي تدرك المحسوس بل قد يكون لازم العلم بالمحسوس ولا يدرك به بشكل مباشر [illegible] بالحواس، ومثاله أن يلزم من العلم بالمحسوس [illegible] وهو محسوس [illegible] [illegible] وهو معلوم غير محسوس، لا تدركه الحواس.

بل أضاف واصل بن عطاء [illegible] إلى الحواس الخمسة [illegible] [illegible] ذلك الأمر [illegible] المعرفة الحسية [illegible] [illegible] المحسوس [illegible] الإدراك [illegible] الحواس الخمسة.

(1) [illegible] المعجم الفلسفي [illegible] القاهرة

ونحن عندما [illegible] الثقافة التي [illegible] و[illegible] من [illegible]

[illegible] معرفة الأساليب

التي [illegible] الإسلاميون [illegible] في هذا [illegible]

لقد [illegible] أن يقول [illegible] تم تعريف [illegible] التي و[illegible]

ومن العقل والمنطق [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] العقل [illegible]

[illegible]

و[illegible] عن [illegible]

[illegible] العربي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] عن الحقيقة [illegible] التي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فيها تقول

[illegible]

به على السمية. فقالوا له

[illegible]

عند المحسوس المدرك بالحواس

[illegible]

[illegible] ص ٢٢٦ – تحقيق فؤاد سيد طبعة تونس سنة ١٩٧٢ م

و[illegible] كانت [illegible] الإسلامية قد [illegible] الترجمة لعلوم [illegible]

[illegible] علوم [illegible] أي علوم الفلسفة [illegible] التي هي [illegible]

[illegible] في عام [illegible] مشروع الأمير الأموي [illegible]

[illegible] [٩٠هـ - ٧٠٨م] [illegible] عرفت في [illegible] بعد [illegible]

هذه العلوم [illegible] وترجمات [illegible]

[illegible] الهجري أصبحت الفلسفة [illegible] معروفة [illegible] على العقل

العربي [illegible] الكندي يعقوب بن [illegible] [٢٦٠هـ - ٨٧٣م]

[illegible] [٣٨٤ - ٣٢٢ ق م] حاضرا في [illegible]

[illegible] المعلم الأول [illegible]

العربي [illegible] [illegible]

[illegible] الأندلسي [illegible] ولم يكن

في الإسلام فيلسوف [illegible] في [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] في المعرفة [illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible] الفكر الإسلامي [illegible]

[illegible] الإسلاميين

[illegible] الإسلامية

[illegible] الإسلاميين [illegible]

[مقالات الإسلاميين] [illegible]

[illegible] [٢٦٠ - ٣٢٤هـ - ٨٧٤ - ٩٧١م] [illegible]

[illegible] العامري أبو [illegible] محمد بن يوسف

[illegible]

طبعة القاهرة سنة ١٩٤٥ م

[٣٨١هـ ٩٩٢م] [الإعلام بمناقب الإسلام] [illegible]
[illegible] — الإسلام واليهودية —
[illegible]
[illegible]
غيره من الأديان؟»

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الأندلسي
[٣٨٤ ٤٥٦هـ ٩٩٤ ١٠٦٤م] [illegible]
[illegible]
١٠٨٦ ١١٥٣م [illegible]
[illegible] ٤٥٠ ٥٠٥هـ ١٠٥٨ ١١١١م [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ٦٦١ ٧٢٨هـ
١٢٦٣ ١٣٢٨م [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

جهة [الجمع بين العقل والنقل] و[...] [illegible] ضرورة

تتفق مع صحيح المنقول] و[نقض المنطق] الذي [illegible]

بناء منطق إسلامي لعقيدة [illegible] [illegible]

الإسلام [illegible] للمنطق الأرسطي [illegible]

وتنبيهها [illegible] وكتاب [الرد على ابن عربي والصوفية] و[illegible]

[illegible] [illegible] أهل الإيمان] [illegible]

وفي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

المعرفة الإسلامي عن [illegible] المعرفة [illegible]

الإسلامية [illegible] [illegible]

ابن [illegible] [illegible] إبراهيم [ت ١١٦ [illegible] ٨٠٠هـ ١٣٠٣

١٤٣٦م [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] المعرفة [illegible]

الإسلامية المعرفة في [illegible] [illegible]

الحسية غير الإسلامية

وهكذا [illegible] [illegible] الإسلامية [illegible] [illegible]

المعرفة الحسية و[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] المعرفة [illegible]

[illegible] [illegible]

مع [illegible] [illegible] الإسلاميين

لقد [illegible] الإسلامي [illegible] المعرفة [illegible]

التدافع الفكري عبر تلك القرون

(٦)
والبديل للوضعية الغربية الحديثة

عندما حدث وجنحت الحضارة الإسلامية في طور التراجع والجمود - لأسباب ليس هنا مجال الحديث عنها[١] - فقدت فيها الخلق والإبداع والتجديد، ودخل العقل الإسلامي في مسار الجمود والتقليد، تصادف زمن هذا التراجع مع الإحياء والنهضة للحضارة الغربية في أوروبا.

ولقد قدمت النهضة الغربية الحديثة في مناهج المعرفة ومصادرها فكراً غير عتيق، ونقض تلك المناهج التي سادت في تلك الحضارة إبان عصورها الوسطى والمظلمة.

كانت الكنيسة الكاثوليكية إبان هيمنتها على الحضارة الغربية - سواء في ظل القيصرية البابوية التي هيمنت فيها الكنيسة على السلطة الزمنية، أو في ظل البابوية القيصرية عندما أصبح البابوات قياصرة أيضاً - كانت هذه الكنيسة قد جعلت اللاهوت هو مصدر المعرفة الوحيد، فقدست المعرفة وثبتتها، عندما جعلت لها قدسية الدين وثباته، وغيبت الواقع عن أن يكون المصدر الثاني للمعرفة، فنفت الشرعية عن ثمرات معرفة هذا

(١) انظر كتابنا: الطريق إلى اليقظة الإسلامية [illegible] ومظاهره ص ١٨ - ١٣٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م

«الواقع». ومن هنا كان «التحريم» للمكتشفات الحديثة و«الحرمان الديني» لمن يطلبون المعرفة خارج اللاهوت.

لقد جعلت الكنيسة من «المعرفة» شأنا سماويا خالصا لا مكان فيه للواقع، ولأدوات إدراكه وتصوره. فجاءت النهضة الغربية الحديثة كرد فعل عنيف ومضاد لهذا الموقف الكنسي فتجعل من «الواقع المحسوس» المصدر الوحيد للمعرفة وتجعل من التجربة الحسية (المذاهب التجريبية بأنواعها) السبيل الوحيد لتحصيل المعارف والعلوم.

لقد فتحت هذه النهضة الغربية الحديثة صفحة جديدة لمنهج المعرفة الحسية الذي عرفه تاريخ الفكر البشري لدى أصحاب المدرسة الوضعية - والذي يشير إلى التسمية الموحية له.. بل لقد تصاعد رد الفعل هذا بتيارات الوضعية الغربية إلى حد الزعم بأن «الدين وضع بشري».. وليس وضعا إلهيا. وذلك عندما أنكرت هذه الوضعية «الوحي» كمصدر من مصادر المعرفة الحقيقية. واعتبرته - في أحسن الحالات - وهما وأساطير اعتبرتها ميتافيزيقا وخيالات إن جاز أن تكون تصورات لمرحلة من مراحل طفولة وسذاجة العقل الإنساني. فغير جائز أن تكون «معرفة» بالمعنى الدقيق لهذا الاصطلاح!

لقد قال الوضعيون الغربيون: «إن العقل الإنساني قد مر بحالات ثلاث: حالة لاهوتية، وحالة ميتافيزيقية وحالة

(٦)
والبديل للوضعية الغربية الحديثة

على حين [illegible] حضارتنا الإسلامية في طور التراجع والجمود [illegible] [1] فمن [illegible] الجمود والتقليد [illegible] العقل الإسلامي في مجال الجمود والتقليد [illegible] التراجع مع الإحياء والنهضة للحضارة الغربية في أوربا

وقد قامت النهضة الغربية الحديثة في مناهجها المعرفية وتجربتها الفكرية على نقيض ومناقض لتلك المناهج التي سادت في تلك الحضارة في عصورها الوسطى والمظلمة

كانت الكنيسة الكاثوليكية إبان هيمنتها على الحضارة الغربية سواء في ظل القيصرية البابوية التي هيمنت فيها الكنيسة على السلطة الزمنية أو في ظل البابوية القيصرية عندما أصبح البابا قيصرا كانت هذه الكنيسة قد جعلت اللاهوت هو مصدر المعرفة الوحيد فقدست المعرفة ونسبتها [illegible] عندما جعلت لها قداسة الدين وثباته وعزلتها [illegible] الواقع عن أن يكون المصدر الثاني للمعرفة [illegible] الشرعية عن ثمرات معرفة هذا

[1] انظر كتابنا [illegible] الصحوة الإسلامية [illegible] الحضاري وأسبابه ومظاهره – ص ١٨ – ١٣٨ – طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م

«الواقع»، ومن هنا كان «التحريم» للمكتشفات الجديدة و«الحرمان الديني» لمن يطلبون المعرفة خارج اللاهوت.

لقد جعلت الكنيسة من «المعرفة» شيئًا سماويًا خالصًا، لا مكان فيه للواقع ودون إدراكه وتصوره فجاءت النهضة الغربية الحديثة كرد فعل عنيف ومضاد لهذا الموقف الكنسي فجعلت من «الواقع المحسوس» المصدر الوحيد للمعرفة وجعلت من التجربة الحسية المذهب التجريبية بأنواعها السبل الوحيدة لتحصيل المعارف والعلوم.

لقد فتحت هذه النهضة الغربية الحديثة صفحة جديدة لمنهج المعرفة الحسية الذي عرفه تاريخ الفكر البشري لدى أصحاب الديانات الوضعية - والذي أسرنا إلى «السمنية» نموذجا له. بل لقد تصاعد رد الفعل هذا بتيارات الوضعية الغربية إلى حد الزعم بأن الدين وضع بشري» وليس وضعا إلهيا. وذلك عندما أنكرت هذه الوضعية الوحي كمصدر من مصادر المعرفة الحقيقية واعتبرته في أحسن الحالات وهما والتفافا شعوريا ميتافيزيقيا وخيالات لا تعدو أن تكون تصورات لمرحلة من مراحل طفولة وسذاجة العقل الإنساني فغير جائز أن تكون «معرفة» بالمعنى الدقيق لهذا الاصطلاح.

لقد قال الوضعيون الغربيون: إن العقل الإنساني قد مر بحالات ثلاث: حالة لاهوتية، وحالة ميتافيزيقية وحالة

وضعية»، هي تلك التي غدا «الواقع» فيها المصدر الوحيد للمعرفة الحقة - فالحق بمنطقهم، هو ثمرة التجربة وحدها"[1]

وكما قال «السفسطائية» القدماء: إن ما عدا «المعروف بالحواس» هو مجهول»، قال أبو المذهب الوضعي أوجست كونت [١١٩٨ - ١٨٥٧م]: إن ما عدا «الواقع» المحسوس هو «وهم» من الأوهام، «والفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الواقعية المحسوسة وما بينها من علاقات أو قوانين، وإن المثل الأعلى لليقين يتحقق في العلوم التجريبية. فالتجربة هي مصدر المعرفة الحقة الوحيد. ومن ثم فإنه يجب العدول عن كل بحث في العلل والغايات وفي المبادئ الأولية. فكل المعرفة مستمدة من الحس والتجربة المباشرة، وليس من الفطرة أو المصدر العقلي والنظري والاستنباطي"[2] أما مصدر الوحي، فقد اعتبرته الوضعية إفرازا بشريا تلاءم مع مرحلة الطفولة التي مر بها العقل البشري قبل أن يصل إلى الوضعية التجريبية..، عبر الميتافيزيقا»

ولقد شابهت هذه الوضعية الغربية الحديثة، في منهجها هذا في المعرفة، أسلافها القدماء من أبناء الديانات الشرقية الوضعية مثل «السُّمنية» التي أشرنا إليها، عندما سارت على درب «حصر العلم بالحس»؛ فقامت بـ«الدين الوضعي»، فكتب أوجست كونت كتابه [تعاليم الدين الوضعي] سنة ١٨٥٢م

(١) انظر: [المعجم الفلسفي] مادة «المذهب الوضعي». تأليف: مراد وهبة ويوسف كرم، ويوسف شلالة.

(٢) المرجع السابق. وانظر كذلك مادة «تجريبي» في [المعجم الفلسفي] وضع مجمع اللغة العربية. القاهرة.

وفي هذا «الدين الوضعي» جعل هذا «المتنبي الوضعي الجديد»:

- العبادة للكائن الأعظم – الذي رمز له بصورة أنثى – في معابد تحتوي على تماثيل نصفية لمن رفعوا شأن الإنسانية!
- وجعل لهذا الدين الوضعي «تقويمًا وضعيًا» سميت شهوره بأسماء موسى وأرسطو وفردريك الثاني وغيرهم من أمثالهم!
- أما أعياد هذا الدين، فهي احتفالات بالعظماء، وقد جعل أوجست كونت في هؤلاء العظماء الذين تقام لأعيادهم احتفالات بهم أصدقاءه، الذين ساندوه في محاولته الحصول على منصب الأستاذية بمدرسة الفنون التطبيقية.
- أما روحانيو هذا الدين الوضعي، فهم العلماء التجريبيون بدلا من رجال اللاهوت!»[1]

فهي إذن «الردة العميقة» و«رد الفعل العنيف» على الموقف الكنسي والمذهب اللاهوتي في مصدر المعرفة وسبل تحصيلها. لقد جعلت الكنيسة المعرفة ذات مصدر سماوي خالصا لا علاقة له «بالواقع». فجاءت الوضعية لتجعلها ذات مصدر «واقعيًا» خالصا لا علاقة له بالوحي ولا بنبأ السماء!

(١) انظر (الموسوعة الفلسفية المختصرة) ص ٢٦٧ [illegible] إشراف ومراجعة [illegible] زكي نجيب محمود – طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣م

والأمر الذي يؤكد هذه الحقيقة هو ما ذهب إليه أبو الوضعية الغربية أو مؤسس المذهب الوضعي (كونت) في تقسيمه لمراحل تطور المعارف والعلوم على أنها مراحل ثلاث:

١- المرحلة اللاهوتية: وهي مرحلة الحكم الديني للكنيسة التي تسلطت فيها السلطة من قوة السلطة الدينية وقوة الكهنة الروحانية.

٢- والمرحلة الميتافيزيقية: التي حدث فيها نوع من الفوضى تعرضت فيها كل من السلطة الدينية والسلطة الروحانية للهجوم.

٣- والمرحلة الوضعية: التي تكون فيها رجال العلم الطبيعي قوة روحية جديدة وتسود فيها المعرفة الوضعية وتصبح الدين وضعيا أيضا، وتصبح كل العلوم حتى الإنسانية منها طبيعية في منهجها وفي مرحلة اعتماد الموضوعية وتحكيم عواطفنا وميولاتنا حتى لقد أطلق على علم الاجتماع في نسبة الفيزياء الاجتماعية(١) وقال فيما بعد: أما ما دمنا نفكر بشكل وضعي في مواد علم الفلك أو الفيزياء لم يعد بإمكاننا أن نفكر بطريقة مغايرة في مواد السياسة أو الدين، فالمنهج الوضعي الذي نجح في علوم الطبيعة يجب أن يمتد إلى كل مجالات التفكير(٢).

(١) المرجع السابق، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) [illegible]، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية و[illegible]، ص ٣٨، رسالة ماجستير تحت الطبع.

لأنه قد رأى كل أبعاد التفكير وكل ألوان المعارف وكافة العلوم صادرة عن مصدر واحد للمعرفة هو «الواقع المحسوس» فكل المعارف «تجريبية» ومن ثم يمكن التعبير عنها «بلغة الفيزيق».(١)

هكذا بدأت وتبلورت «الوضعية الغربية» بمدارسها المختلفة وانقساماتها التي تمايزت في الفروع والتخصصات الوضعية والوضعية المنطقية والتجريبية والسلوكية والمادية بمذاهبها وفروعها إلخ إلخ

فكما حرّم اللاهوت الكنسي الغربي المعرفة «الواقعية» لجاليليو [١٥٦٤ - ١٦٤٢م] حرّمت الوضعية الغربية المعرفة «الإيمانية»، معتبرة إياها إفرازًا بشريًا طفوليًا، تجاوزه العقل البشري عندما تجاوزت الإنسانية مرحلة طفولتها

وهكذا عاد الخلل إلى مصادر المعرفة وإلى أدواتها عندما قامت على ساق واحدة هي «كتاب الوجود» معرضة عن ساقها الأخرى «كتاب الوحي» عاد إليها هذا الخلل القديم من جديد!

لقد غدت الوضعية «دين الفكر الغربي»، الذي استبدل «بدين الإيمان السماوي» ثم اتخذت الأشكال المتعددة في الميادين المختلفة

(١) [الموسوعة الفلسفية المختصرة] ص ٤١٧

• فهي قد جعلت «الوعي» نشاط مادة هو انعكاس للدماغ»، الذي حسبته «العقل»، أي أنها قد جعلت «العقل» و«التعقل» مادة حتى لا يكون هناك شيء في الإدراك والمعرفة غير الحس والمحسوس والحواس. وقال هكسلي «توماس هـ» [١٨٢٥ ـ ١٨٩٥م]: يبدو أن الوعي متصل بآليات الجسم كنتيجة ثانوية لعمل الجسم لا أكثر وأن ليس له أي قدرة كانت على تعديل عمل الجسم مثلما يلازم صفير البخار حركة القاطرة دونما تأثير على سيرها... وقال أيضا في سياق الادعاء بهذه المادية الميكانيكية: إن الأفكار التي أعبر عنها بالنطق وأفكارك فيما يتعلق بها إنما هي عبارة عن تغيرات جزيئية»[1]

وقد غدت هذه النظرية الجسمية التي نكرت ما دون المحسوس والمحسوس كانت صاحبتها نظرية جديدة في الاعتقاد

فالدهريون الأول قد قالوا: «ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر»[2] ورأوا في الموت نهاية كل شيء، يستوي في ذلك «الجسم» و«العقل» و«النفس» و«الروح» و«الفكر» و«الإرادة»... فالناس كما قالوا هم مثل الزرع تراه مختلف ... ثم يصير حصادا لا عودة له ولا بعث ولا نشور لأنه كما ... هؤلاء الماديون «إذا كان التفكير والإرادة ينتصر من أنشطة الدماغ فستختفيان بفناء الدماغ وإذا كان

(1) روبرت م. أغروس، جورج ستانسيو [العلم في منظوره الجديد] ص ٣٥، ٣٦. ترجمة كمال خلايلي. طبعة الكويت. عالم المعرفة سنة ١٩٨٩

(2) سورة الجاثية: ٢٤

كل جزء من أجزاء الإنسان مادة فلا بد من أن يكون كل جزء منه عرضة للفناء»(1)

وانطلاقا من هذه الفلسفة المادية لعلم الغرب انطلق داروين تشارلز [١٨٠٩ - ١٨٨٢م] فقصر على المادية نشأة الأحياء تفسيرا ... وإلى هذه النتيجة ... أنه عريق ... فهي ... ذاتية بواسطة التفاعلات والتغيرات الجزئية التي عرفت المواد الأولى التي تحققت بسبب ... كما تحقق ... من مادة ... التغيرات الجزئية فما قاله هكسلي في عالم الفكر قاله داروين في عالم الأحياء

وتطبيق لهذه النزعة المادية - في عالمي الأفكار والأحياء، في الاجتماع والأحوال والثروات والاقتصاد، قال ماركس [١٨١٧ - ١٨٨٣م] إن تطور المجتمعات والاجتماع البشري إنما هو بالدرجة الأولى الواقع المادي والاقتصادي وقوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، فالمعرفة مادية تعكس الواقع في الفكر، وهي قائمة على الممارسة تبدأ بالإدراكات الحسية للأشياء(2) ولا شيء غير الواقع المنعكس في فكر الإنسان بواسطة ... الدماغ ... الإله والدين ... وكل ما جاء به كتاب الوحي، فهو خيال وخرافة اخترعها المحرومون تسلية لأنفسهم، أو الخبثاء الأغنياء تخديرا للفقراء.

(1) [العلم في منظوره الجديد] ص ٣٠

(2) [الموسوعة الفلسفية] ...
ترجمة سمير كرم - طبعة بيروت سنة ١٩٧٤ م

وقد تصدعت المركسية بهذه «الدهرية» المنكرة للمصدر الوحي والغيبي للدين عن مستوى «تحرير» الإنسان إلى حد جعلتها مهيمنة برتبة تعلو الأمور إلى مصاف مقدسة على الإنسانية ومجتمعاتها باقتلاع الدين واقتلاع من هذه المجتمعات جاعلة من هذه الهيمنة جزءا لا يتجزأ من «تحريرها» الإنسان من «القيود»!

لقد تنوعت مدارس الفكر الغربي ومذاهبه وتعددت في إطار نهضته الحديثة للعلوم والمعارف والتخصصات لكن الوضعية والنزعة المادية والمذهب الحسي في المعرفة كانت القاسم المشترك الأعظم في معظم هذه المدارس والمذاهب والمعارف والتخصصات حتى لقد تطبع فكر النهضة الغربية الحديثة بهذا الطابع المادي الحسي إلى حد كبير

ولقد تزامن ذلك مع تراجع حضارتنا الإسلامية وبدء الموجة الاستعمارية الغربية الحديثة التي حملت إلى البلاد الإسلامية بعد خضوعها لهيمنة هذه الموجة الاستعمارية مع النهب الاقتصادي والقهر الأمني والسياسي نزعتها هذه في المعرفة الحسية والنزعة المادية فعادت بذلك ريح المواجهة الفكرية سيرتها الأولى من جديد مع تغيير في مواقع الفرقاء فبعد الفتوحات الإسلامية نهض الإسلاميون بمواجهة مذهب المعرفة الحسية التي تقف عند المحسوس والحواس نهضوا بمواجهة مذهب الإسلام في المعرفة في البلاد التي فتحها المسلمون بعد قدموا البديل الإسلامي في المعرفة كجزء من

المشروع الحضاري الإسلامي الذي انتصر وعد لأكثر من عشرة قرون – منارة العالمين.

واليوم وبعد الغزو الغربي لوطن العروبة وعالم الإسلام منذ نحو قرنين من الزمان، اقتحم الفكر الغربي على العقل المسلم دياره ومعاقله، محاولاً أن يفرض عليه [illegible] ويريد فرضه نموذجه الحضاري الغربي المؤسس على النزعة المادية والحسية في المعرفة الأمر الذي يجعل من شعار "إسلامية المعرفة" التعبير عن مهمة ثقافية ورسالة فكرية هي المدخل والسبيل والأداة لبلورة الصورة المعاصرة للمشروع الحضاري الإسلامي الذي لابد لنا من إحيائه وتجديده لنواجه به المشروع الغربي

فالقضية الآن أكبر من مهمة معاصرة وأخطر من [illegible] فكرية وأعظم من [illegible] أكاديمي [illegible] جزء من المشروع الحضاري الإسلامي الذي يمثل [illegible] الإسلامية الحديثة دليل العمل الذي يشير لهذه النقطة [illegible] لا يكذب أهل هذه النقطة وطوق النجاة [illegible] الفكرية والاستلاب الحضاري الذي أمام له [illegible] في عقر دارنا المؤسسات التي [illegible] في المعرفة [illegible] في صياغة الواقع وتشكيل الحياة

تلك هي المهمة التي يطرحها شعار "إسلامية المعرفة" على العقل المسلم، في المنعطف التاريخي والظرف الحضاري الذي نعيش فيه

(٧)

وقسمة في مشروعنا الحضاري البديل

ولعل مما يزيد العقل الإسلامي ثقة في خطر هذه القضية - قضية إسلامية المعرفة - واطمئنانا إلى توافر إمكانات النجاح فيها - غير القدرة على انتصار أسلافنا العظام على الوضعية القديمة والدهرية القديمة - أن كثيرًا من دوائر الفكر الغربي ذاته قد حدث تفيق من خدر الاطمئنان الذي خدعتها به موجة المعرفة الحسية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين.

لقد شهد العلم الغربي، منذ العقود الأولى للقرن العشرين، العديد من الاكتشافات العلمية، التي يعدها المؤرخون له بمثابة الثورات التي كشفت عورات افتقار المعرفة الحسية والمادية إلى التوازن ومن ثم افتقادها مقومات «الصدق المعرفي».

● ففي الفيزياء، مثلت أبحاث ونظريات ومكتشفات أينشتاين Einstein [١٨٧٩ - ١٩٥٥م]، وبور Bohr [١٨٨٥ - ١٩٦٢م]، وهايزنبرج Heisenberg [١٩٠١-١٩٧٦م] ثورة كبرى.

● وفي مبحث الأعصاب، مثلت أبحاث ومكتشفات شرنجتون Sherrington [١٨٥٧ - ١٩٥٢م]، وإكلس Eccles من مواليد ١٩٠٣م، وسبري Sperry [١٨٦٠ - ١٩٣٠م]، وبنفيلد Penfield ثورة جديدة.

- وفي علم النفس، مثلت بحوث ومكتشفات فرانكل Frankl وماسلو Maslow، وماي May ثورة أخرى.

- وفي علم الكسمولوجيا كانت نظرية الانفجار العظيم و[illegible] الأساسي [illegible] عصرا جديدا [illegible] في القدرات [illegible] والأعصاب [illegible] وعلم النفس الأسس الجديدة للمعرفة غير الحسية [illegible] وبجعلها [illegible] لا تقف على [illegible] الحس وحده [illegible] الاختصاص من علماء الغرب [illegible] معرفي [illegible] الثورات العلمية [illegible] فإن هذه المكتشفات لم تمس التصور الحديث [illegible] الذي كان سائدا في العلم الغربي للإنسان ولمكانته في العالم فحسب بل [illegible] تفسيرا جديدا».

لقد كان التصور السائد في دوائر العلم الغربي [illegible] حقبة الموجة [illegible] والحسية في المعرفة هو أن لا وجود إلا للمادة وأن الأشياء جميعا قابلة للتفسير تبعا للمادة فحسب. وهكذا يتحتم أن تكون حرية الاختيار وهما من الأوهام ما دامت المادة غير قادرة على التصرف الحر ولما كانت المادة عاجزة عن أن تخطط أو تهدف إلى أي شيء فلا سبيل إلى العثور على حكمة وراء الأشياء الطبيعية [عالم الغيب] [illegible] من أن العقل [illegible] يعتبر نتاجا ثانويا لنشاط الدماغ.

ولقد وصف برتراند راسل Bertrand Russell [١٨٧٢-١٩٧٠م] هذا التصور الذي ساد دوائر المعرفة والعلم الغربي فقال: إن يكون الإنسان نتاج أسباب لا تملك [illegible]

اللازمة لما تحققه من غايات، ولأنّ تكون منشؤه ونموه ومخاوفه وصبواته ومعتقداته مجرد حصيلة لتصادف ذري عرضي، ولأن تعجز أي حماسة مشبوبة او بطولة، أو اي حدة في التفكير و الشعور عن الإبقاء على حياة فرد واحد فيما وراء القبر، ولأن يكون الدمار هو المصير المحتوم لكل عناء الأجيال، ولكل التفاني، ولكل عبقرية الإنسان لدى تألق الشمس في رابعة النهار، كل هذه الأمور إن لم تكن حقائق غير قابلة للجدل فإنها مع ذلك تقترب من اليقين إلى حد يستحيل معه على اي فلسفة ترفضها أن تكتب لها البقاء وعلى ذلك لا يمكن بناء موطن الروح بأمان إلا في إطار هذه الحقائق وعلى أساس راسخ من القنوط المقيم

نعم لقد سادت نظرية "القنوط المقيم"، مما وراء الصدفة في مقدمة النهضة الحديثة للمعرفة الغربية الحسية والعلم الغربي المادي حتى عمم هذه النظرة على جميع العلوم المادية منها والإنسانية

لكن المؤرخين الجدد للعلم الغربي الذين رصدوا الثورات المعاصرة في هذا العلم يقولون إن ذلك التصور "الدهري الفاسد قد طويت صفحته بهذه الثورات العلمية المعاصرة وبمعطياتها في نظرية المعرفة وبعبارة عالم الفيزياء هنري مرجينو Henry Margenau إن العقيدة الأساسية للمذهب المادي هي أن الحقيقة كلها تكمن في المادة وهذا رأي كان مقبولا بعض القبول في أواخر القرن الماضي [التاسع عشر] غير أن أمورا كثيرة حدثت في هذه الأثناء تكذب هذا الرأي"

وبعبارة عالم الفيزياء فيرنر هايزنبرج «إن الفيزياء الذرية المعاصرة قد نأت بالعلم عما كان يتسم به من اتجاه مادي في القرن التاسع عشر».

إننا نحن أمام جديد وبإزاء تحولات في مذهب المعرفة الغربية تحولات عن النزعة المادية البحتة والحسية الصرفة.

لقد قال الإمام الغزالي قديمًا: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله. لقد بدأ جراح الأعصاب «ويلدر بنفيلد» تجاربه على الدماغ بهدف إثبات النظرية التي كانت سائدة - النظرية المادية - الدماغ يفسر العقل - لكنه وصل عبر دراسة ما يربو على ألف حالة إلى إثبات عكس هذه النظرية المادية، وصل إلى أن العقل غير الدماغ، فالدماغ هو مقر الإحساس والذاكرة والعواطف والقدرة على الحركة لكنه ليس مقر العقل أو الإرادة، والعقل لا الدماغ هو الذي يراقب ويوجه في آن معًا، وهو الذي يتخذ القرارات وينفذها مستعينًا بمختلف آليات الدماغ».

لقد وصل بنفيلد إلى هذه الحقائق ورتب عليها معطياتها في نظرية المعرفة فكتب في كتابه [لغز العقل]

«إنه أقرب إلى المنطق أن نقول إن العقل ربما كان جوهرًا متميزًا ومختلفًا عن الجسم»

وأمام هذا الذي قاله نتذكر تعريف الإسلاميين للعقل بكلمات الشريف الجرجاني [٧٤٠-٨١٦هـ = ١٣٤٠-١٤١٣م]

«هو جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقا ببدن الإنسان نور في القلب يعرف الحق والباطل»

ويذكر أيضا تعريفه لـ«القلب» الذي يعقل ويفقه كما جاء في القرآن الكريم - والذي يقول عنه إنه «لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان ويسميها الحكيم النفس الناطقة وهي المدرك والعالم من الإنسان والمخاطب والمطالب والمعاتب»

إنه التعريف الإسلامي الذي لم ير الإنسان مجرد مادة تفرز الفكر بالتفاعلات لجزيئات هذه المادة

ومن هذا المعنى يقترب العلم الغربي المعاصر بتجارب علمائه على الأعصاب!

بل لقد خطا «ولدر بنفيلد» خطوة أخرى هامة عندما قال متعجبا - وهو الذي بدأ أبحاثه بهدف دعم النظرة المادية والحسية للمعرفة - قال: «... فيا له من مؤشر أن نكتشف أن العالم يستطيع بدوره أن يؤمن عن حق بوجود الروح... وإذا كان العقل والإرادة غير ماديين فلا شك أن هاتين الملكتين على حد تعبير «اكلس» - لا تخضعان بالموت للتحلل الذي يطرأ على الجسم والدماغ كليهما»(١)

(١) العلم في منظوره الجديد ص ٣٩، ٤٢، ٤٣

إنها بارقة إيمان بالروح وبقاء بخلودها واستمرارها بعد تحلل الجسم وفناء المادة بحسب نهاية المطاف.

وهنا تتلاقى هذه التجريبية الجديدة [illegible] مع ما تستعير «التجريبية الإسلامية» الموصوفة فقد استفادت منه من مصطلحات لكن يبقى «البديل الإسلامي» متميزا فهو لا ينطلق في المعرفة فقط من الواقع والحس والتجريب وإنما ينطلق أيضا من «كتاب الوحي» وهو ما يفتقده ويفتقر إليه هؤلاء التجريبيون الجدد الغربيون»!

لقد اكتسب المفكر [illegible] من مفكري [illegible] العالم المسلم الذي ينطلق من «كتاب الوحي» و«كتاب الكون» فإنه يكتشف بالتجربة في «كتاب الكون» الأسرار التي أودعها صاحب الوحي وخالق الوجود. فهو ينطلق من الإيمان الديني ينطلق من «الشرعي» لاكتشاف «المدني الكوني» ثم يوظف ثمرات العلم «المدني الكوني» في خدمة الإيمان «الديني الشرعي». ويكون لذلك أكثر خلق الله خشية له ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾(١)

فالتطور الذي يحدث في العلم الغربي المعاصر ومعطياته في نظرية المعرفة هو مما يدعم ثقتنا في «البديل الإسلامي» ويزيد من إلحاح هذه القضية على العقل المسلم [illegible] علومي

(١) سورة فاطر ٢٨

من آثار الموجة المدنية للعلم العربي الحديث، وبصياغة هذه العلوم وفق صياغة إسلامية للمعرفة، وللإسناد بعد [illegible] في تركيبة [illegible] هذا الموجة الجديدة [illegible] عند [illegible]

* * *

إن الإسلام الذي صاغ الأمة عندما صنع حضارتها [illegible] [illegible] حقيقة العلاقة بين الشرعي والمدني في [illegible] والعلوم

إن هذا الإسلام الذي صاغ الأمة، ومنهجه في المعرفة هذه الصبغة الإسلامية المتميزة، هو الذي صاغ [illegible] وبسبب ذلك أعطى علماء هذه الأمة صياغة متميزة [illegible]

تجريبيون [illegible] و[illegible] [illegible] [illegible] حيث الفكرية والعلمية من ذلك [illegible] بين النظر والتجربة بين النقل [illegible] و[illegible] بين «الشرعي» و«المدني»

[illegible] وضع [illegible] فوق الإنسان [illegible] ولعمري [illegible] لكون مستقيم في ذلك كله [illegible] الوحي والوجود [illegible] هذا

● كان أبو الوليد ابن رشد [٥٢٠ - ٥٩٥هـ = ١١٢٦ - ١١٩٨م] يفزع الناس إلى فتواه في الفقه كما يفزعون إلى فتواه في الطب فهو طبيب التجربة والعقل الأصولي لمشكلات الحكم به صاحب [كتاب الكليات] في الطب و[بداية المجتهد ونهاية

المقتصد] في الفقه و[مناهج الأدلة في عقائد الملة] و[فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] في علم الكلام والتوحيد.

● وكان ابن سيناء أبو علي الحسين بن عبد الله [٣٧٠ - ٤٢٨هـ / ٩٨٠ - ١٠٣٧م] أستاذ الرئيس في الشرعي والعقلي على الإلهيات والطبيعيات وعلى التصوف والطب والحيوان. ومن أبرز ما أبدع في هذا [القانون] وفي الحكمة والإلهيات [الشفاء] و[النجاة] و[أسرار الحكمة المشرقية] وفي المخترعات الحقيقية [النبات والحيوان] و[الهيئة] و[أسباب الرعد والبرق].. إلخ

● وكان البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر [٤٢٩هـ - ١٠٣٧م] - وهو الذي اشتهر ببراعته المتميزة في أصول الدين - المبرز في الحساب وفي الهندسة، حتى لقد قالوا: إنه كان يدرس في سبعة عشر فنًا؟ ومن آثاره [أصول الدين] و[تفسير القرآن] و[معيار النظر] و[التكملة في الحساب] و[رسالة في الهندسة].. إلخ.

● وكان الخيام أبو الفتح عمر بن إبراهيم [٥١٥هـ - ١١٢١م] اللغوي الشاعر والفيلسوف المؤرخ والرياضي الفقيه والمهندس الفلكي. ولقد بقيت لنا من آثاره [مقالة في الجبر والمقابلة] و[شرح ما أشكل من مصادرات إقليدس] و[الاحتيال لمعرفة مقداري الذهب والفضة في جسم مركب منهما] و[الرباعيات] و[الخلق والتكليف] وغيرها من الآثار الشاهد

تنوعها وتكاملها على هذا المذهب الإسلامي في تكامل مصادر المعرفة وتكامل أدواتها، ومعرفة علمائها.

● وكان الفخر الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر [٥٤٤ - ٦٠٦هـ ١١٥٠ - ١٢١٠م] الإمام في علوم الدنيا والدين جميعاً حتى لقد قال مؤرخوه: إنه كان أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل ... ومن بين آثاره الكثيرة والجامعة لآفاق المعرفة وتخصصاتها نجد: "مفاتيح الغيب" في تفسير القرآن الكريم، و"معالم أصول الدين"، و"لوامع البينات في شرح أسماء الله الحسنى والصفات"، و"تحصيل البحث في التوحيد وأصول الدين"، و"محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين"، و"نهاية العقول"، و"البيان والبرهان" في الفلسفة - و"المباحث المشرقية" في التصوف، و"السر المكتوم" في الفلك، و"النبوات" في النبوة والرسالة، و"النفس" في علم النفس ... كما أبدع في الهندسة "كتاب الهندسة" و"كتاب مصادرات أقليدس" ... إلخ.

هكذا تجسد توازن وتكامل مصادر المعرفة في المنهج الإسلامي وتوازن تكامل أدوات وسبل تحصيلها في هذا المنهج هكذا تجسد في العلم الإسلامي وفي العقل الإسلامي وفي تراث علماء الإسلام فكان الاشتغال بجميع العلوم - الشرعي منها والمدني - و"النظري" منها والتجريبي - عبادة وقربة إلى الله وامتثالاً لأوامره وتكليفاته، فالعلوم الشرعية تعرف المقاصد الإلهية في العمران البشري وبالعلوم المدنية يقيم

البشر العمران الذي استخلفهم خالقهم لإقامته في هذا الوجود وفيهما معاً وبهما جميعاً يكتشفون بأن الله سبحانه وتعالى هو في الأنفس والآفاق فمنطق العلم بهذا المنهج في المعرفة لدى المفتوح دائماً وأبداً لاكتشاف الحقيقة في عالم الشهادة وبعد قواعد الإبصار بالله وعالم الغيب وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾(1)

ولما كانت هذه هي سمات وثمرات [illegible] في منهج الإسلامية المعرفية ومن المعارف والعلوم التي [illegible] هذا المنهج وفي العلماء [illegible] التراث [illegible] وتحصيل هذه المعارف والعلوم [illegible] الصورة [illegible] وشبهة على [illegible] التي [illegible] هذا [illegible]

ومن هنا لا يدرك [illegible] كثير [illegible] ما هو [illegible] بين هذا الاستكبار [illegible] على الجبهة الإسلامية وبين واقع النهضة [illegible] العربية [illegible] في [illegible]

● [illegible] العلمي في علوم [illegible] الوحي والدين حتى [illegible] الاكتشاف [illegible] أصحابها [illegible] الإنسان [illegible] المعبرة عن هذا [illegible] الله عما صاحوا به علوّاً كبيراً –

(1) سورة فصلت: 53

● وكان لكثير من تجارب هذا المنهج المختبر ... اعتماد على
ساق المعرفة الحسية وحدها – وبخاصة في العلوم الاجتماعية
والإنسانية – ثمرات معينة تفي الوقت الذي ...
وثقة وموضوعية ... والتجريبية ...
...
... الأعوج ...
إلى أمراض ... وإلى ...
... حتى وإن ... بعض الأبصار

وثمر ... والفلسفة ...
... عن ... ملابسات ...
... وموضوعية ...
يفرضونها على البشرية جمعاء؟

... من ... والحسي ... المعرفة في هذه
...
الشعوب المستضعفة وتدميره ...
في مجتمعاتها ...
من ذلك رسالة حضارية ... الأبيض ضريبة ...
من العالمين

... الحسي والمادي ...
... في العلم ... كانت
تطبيقاته في ... والاحتلال ...
قهره للأمم الأخرى رسالة حضارية ... اعتبر ... على

الطبيعة «رسالة حضارية» أحرى أن تجعلها من عنوان «قهر الطبيعة» و«السيطرة عليها» و«تسخيرها للإنسان» عدوين عليها؟

ولأن هذا المنهج الحسي والمادي لا يعرف غير الواقع المحسوس ولا يؤمن بغير عالم الشهادة فلقد تمرد الفردية التي لا ترى للحياة الإنسانية مقاصد غير الوفرة لمادية التي تحقق للإنسان ذاته وشهواته التي لا تتناهى عند حدود ... وتوسعت القسوة والصراع الذي لا يعرف اللين.

لقد ثمر هذا المنهج في المعرفة الغربية علوما ومعارف ومداخل تحقق للإنسان قوة المفترس الذي يباكر في سعة النماء، بينما عجزت عن تحقيق الإشباع الروحي لهذا الإنسان فاختل توازنه عندما لبت له حاجات الجسد دون حاجات الروح حتى لقد أدى هذا الخلل إلى تهديد الجسد ذاته بالدمار لغياب دور الروح في ترشيد الإشباع المادي لجسد هذا الإنسان.

* * *

إن ما أشرنا إليه من تحولات حديثة في فلسفة العلم الغربي المعاصر تحولات عن فلسفة المعرفة ومناهجها هي حوافز لمزيد من الثقة بمنهجنا الإسلامي المتميز في المعرفة لابد أن تدفعنا إلى مزيد من الجهد لبلورة منهج منهج فلسفة المعرفة وصياغة علومنا الإنسانية وفلسفة علوم الطبيعة وفقا له

وإن ما نشهده من سقوط وتراجع الكثير من مذاهب الغرب ونظرياته التي بهرت الأبصار لعقود عديدة من الزمن. فسقوطها وتراجعها كشف بطلان أفكارها، وكشف الأمراض التي تكتسح الصحة والفعالية، ليس خاصًا بحقل دون آخر من الحقول التي تحت أ... بل في هذا الميدان ولا غيره، الذي لا يكتشف في سقوط وتراجع الماركسية والداروينية والوجودية والفرويدية، والكثير من مذاهب ومناهج البحث والنقد في الفنون والآداب من ... الذي لا يكتشف في ذلك ... حقيقة واكتفاء المنهج المادي والحسي للمعرفة التي تقوم هذه المذاهب والنظريات؟ ونرى في هذا تأكيدًا وشاهدًا على ضرورة بلورة المنهج البديل؟

بعد طمسنا لحضورنا وتغييبنا، تحققت ضرورة المنهج الإسلامي المتميز في المعرفة عندما وقعنا عند تراث عصر تراجعنا الحضاري. ومن قبول المنهج الغربي في المعرفة الذي واجه به علماء عصر النهضة مذاهب المعرفة السائدة عند الأمم والملل الأخرى، لم نواجه ما هو مماثل له من الاهتمام.

ونصف هذا المنهج الإسلامي، مرة أخرى، بنقيض «النموذج الغربي» في نظرية المعرفة: فلسفة الوضعية والمادية والتجريبية ... المعرفية الغربية ... واتخذت شكل الأزمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية وفي فلسفة العلوم الطبيعية.

ونعرف كل هذا السياق لتحقيق الضرورة. ولئن كان عبر ... وغير الملائم السبب الأول في غياب الشديد في الإبداع

وما كان لأمة أن تبدع في علوم حضارتها المتميزة إلا إذا هي بلورت منهجها المتميز في المعرفة. وإذا كانت النهضة الإسلامية المعاصرة مدعوة إلى بلورة سبيلها الحضاري كدليل لنهضتها المنشودة؛ وذلك حتى لا تسقط في هاوية «التبعية» و«الاستلاب الحضاري» أو تضل الطريق فإن المدخل إلى هذا الاختيار هو «إسلامية المعرفة» حتى يأتي هذا «البديل» إسلاميا حقا فقضيتنا -إذن- قضية «إسلامية المعرفة» هي جزء من مشروع حضاري بديل.. وليست مجرد قضية ثقافية خاصة بدوائر المثقفين والمفكرين.

إنها قضية أمة تريد أن تنهض في مواجهة تحديات شرسة وقضية دين أنعم الله علينا بأن هدانا إلى التدين به..

وقضية حضارة صاغ أسلافنا العظام علومها ومعارفها بهذا المنهاج.

ولن يصلح البديل الحضاري الإسلامي المعاصر الذي نريد به مواجهة التحدي المعرفي الحديث إلا بما صلح به البديل الحضاري الإسلامي الأول الذي واجه به أسلافنا التحدي المعرفي القديم.

إنها قضية قديمة - جديدة - تمثل واحدة من أبرز القسمات التي تميز وتتميز بها الإسلام الدين والحضارة على غيره من النحل والفلسفات والحضارات.

إن «إسلامية المعرفة» تعني: حضارة مؤمنة.. تقوم على «عقلانية مؤمنة» يدعو إليها علماء هم أكثر الناس خشية لله»

• وإذا كانت الوضعية الغربية التي عزلت «المعرفة» عن «الدين والوحي وأنباء السماء» قد جعلت الدين وضعًا بشريًا، فإن كانت هذه الوضعية قد [illegible] والتمرد [illegible] نموذج فلسفتها الوحيد كونت ذلك الذي قطع المحاضرات التي بدأ إلقاءها سنة ١٨٢٦م [الفلسفة الوضعية] وهي التي كونت مؤلفه الرئيسي — انقطع بسبب إصابته بمرض عقلي أعقبته محاولته الانتحار غرقًا في نهر السين سنة ١٨٢٧ لفرط اليأس والقنوط.

ولدى تعرفه على كارولين ماسان — وهي بغي — قبل عقدين في [illegible] حرفتها البغاء، ثم تزوجها، فلم تمض [illegible] حب امرأة متزوجة من رجل هارب من مطاردة البوليس — هي كلوتيلد دي فو — فكان حبه لها — كما يقول مؤرخو فكره — السبب في اتخاذ كتاباته طابعًا جديدًا فقد خضع [illegible] النقل، ودعا إلى «معابد الدين الوضعي»(١).

وإذا كان هذا هو حال علم وعلماء الحضارة الحسية [illegible] وانفصام المشكاة بين الأرض والسماء بين الكون والوحي بين «الدين» و«الآخرة» بين «المدني والشرعي».

• فإن الإسلامية المعرفة شأن آخر، وتراث حافل [illegible] من العلماء مختلفين

(١) [الموسوعة الفلسفية المختصرة] ص ٢٦٦، ٢٦٧.

لقد كان عالماً أبو عثمان عمرو بن عبيد [٨٠-١٤٤هـ/٦٩٩-٧٦١م] [illegible] في [illegible] المعتزلة في [illegible] الشورى [illegible] و[illegible] [illegible] العقلانية الإسلامية [illegible] واجتهد [illegible] والزهد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إذا رأوه قائلين «هذا خير الناس».

[illegible] الناس [illegible] يقول [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بن العقلي [illegible]

والفيلسوف العقلاني الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وعلى الدين بالعصبة

وهو [illegible] [illegible] في قومه والبصرة [illegible] يحج [illegible] بيت الله الحرام سيراً على قدميه من البصرة إلى مكة [illegible] مرة في [illegible] [illegible] يمشي على قدميه وخلفه [illegible] [illegible] عليه الفقراء والضعفاء»[1]

هذه هي [illegible] [illegible] [illegible] الوصفيين [illegible] [illegible]

[illegible] فكري [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذي [illegible] به الخلل بالانحراف [illegible] و [illegible] [illegible] الذي [illegible] «الوصفية» [illegible] [illegible]

[1] انظر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ص [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] سنة ١٩٨٨م.

المصـــادر

- القرآن الكريم .
- كتب السنة :

- [صحيح البخاري] طبعة دار الشعب القاهرة
- [صحيح مسلم] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م
- [سنن الترمذي] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٧م
- [سنن النسائي] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤م
- [سنن أبي داود] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢م
- [سنن ابن ماجه] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٢م
- [سنن الدارمي] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م
- [مسند الإمام أحمد] طبعة القاهرة سنة ١٣١٣هـ

- الكتب المطبوعة :

آدم متز : [الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري] ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة . طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م

ابن جلجل : [طبقات الأطباء والحكماء] تحقيق فؤاد سيد . طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م

ابن القيم : [إعلام الموقعين] طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م ، و[الطرق الحكمية في السياسة الشرعية] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م

ابن منظور : [لسان العرب] طبعة دار المعارف . القاهرة

البلخي والقاضي عبد الجبار والحاكم الجشمي : [فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة] تحقيق فؤاد سيد - طبعة تونس سنة ١٩٧٤م

التهانوي : [كشاف اصطلاحات الفنون] طبعة الهند سنة ١٨٩٢م

الجرجاني (الشريف) : [التعريفات] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م

روبرت م. أغروس ، جورج ن. ستانسيو : [العلم في منظوره الجديد] ترجمة كمال خلايلي . طبعة الكويت سنة ١٩٨٩م

حسين مؤنس (دكتور) [أطلس تاريخ الإسلام] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٧م

روزنتال م. م. يودين [الموسوعة الفلسفية] ترجمة سمير كرم – طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م

زكي نجيب محمود (دكتور) (إشراف) [الموسوعة الفلسفية المختصرة] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣م

الطهطاوي (رفاعة رافع) [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة – طبعة بيروت سنة ١٩٧٧م

عبد الوهاب الكيالي (دكتور) (إشراف) [الموسوعة السياسية] طبعة بيروت سنة ١٩٨٣م

مجمع اللغة العربية – القاهرة [معجم ألفاظ القرآن الكريم] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م [المعجم الفلسفي] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩م

محمد أمزيان [منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية] رسالة ماجستير – تحت الطبع

محمد عمارة (دكتور) [الطريق إلى اليقظة الإسلامية] طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م و[مسلمون ثوار] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨م

محمد فؤاد عبد الباقي [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم] طبعة دار الشعب – القاهرة

مراد وهبة (دكتور) يوسف كرم، يوسف شلالة [المعجم الفلسفي] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م

هنري ... و ... هرارد [علم التاريخ الإسلامي] ترجمة إبراهيم زكي خورشيد – طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م

ونسنك (أ. ي.) وآخرين [المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف] طبعة ليدن ١٩٣٦–١٩٦٩م

يونسكو [معجم العلوم الاجتماعية] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥م

الفهرس

سلسلة «فى التنوير الإسلامى»

١- الصحوة الإسلامية في عيون غربية	د. محمد عمارة
٢- الغرب والإسلام.	د. محمد عمارة
٣- أبو حيان التوحيدى	د. محمد عمارة
٤- دراسة قرآنية فى فقه التجدد الحضارى.	د. سيد دسوقى
٥- ابن رشد بين الغرب والإسلام.	د. محمد عمارة
٦- الانتماء الثقافى	د. محمد عمارة
٧- تنصير العالم	د. زينب عبد العزيز
٨- التعددية. الرؤية الإسلامية والتحديات	د. محمد عمارة
٩- صراع القيم بين الغرب والإسلام	د. محمد عمارة
١٠- د. يوسف القرضاوى المدرسة الفكرية والمشروع الفكرى	د. محمد عمارة
١١- تأملات فى التفسير الحضارى للقرآن الكريم	د. سيد دسوقى
١٢- عندما دخلت مصر فى دين الله	د. محمد عمارة
١٣- الحركات الإسلامية رؤية نقدية	د. محمد عمارة
١٤- المنهاج العقلى	د. محمد عمارة
١٥- النموذج الثقافى	د. محمد عمارة
١٦- منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق	د. صلاح الصاوى
١٧- تجديد الدنيا بتجديد الدين	د. محمد عمارة
١٨- الثوابت والمتغيرات فى اليقظة الإسلامية الحديثة؟	د. محمد عمارة
١٩- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم	د. محمد عمارة
٢٠- التقدم والإصلاح بالتنوير الغربى أم بالتجديد	د. محمد عمارة
٢١- فكر حركة الاستنارة. وتناقضاته	د. عبد الوهاب المسيرى
٢٢- حرية التعبير فى الغرب من سلمان رشدى إلى روجيه جارودى	د. شريف عبد العظيم
٢٣- إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين	د. محمد عمارة
٢٤- الحضارات العالمية تدافع. أم صراع؟	د. محمد عمارة
٢٥- التنمية الاجتماعية بالغرب. أم بالإسلام؟	د. عادل حسين
٢٦- الحملة الفرنسية فى الميزان	د. محمد عمارة
٢٧- الإسلام فى عيون غربية. «دراسات سويسرية»	ترجمة / أ. ثابت عيد
٢٨- الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة. أم تفتيت واختراق؟	د. محمد عمارة
٢٩- ميراث المرأة وقضية المساواة	د. صلاح الدين سلطان
٣٠- نفقة المرأة وقضية المساواة	د. صلاح الدين سلطان
٣١- الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية.	د. محمد خاتمى

٣٢ـ مخاطر العولمة على الهوية الثقافية	د. محمد عمارة
٣٣ـ الغناء والموسيقى حلال أم حرام؟	د. محمد عمارة
٣٤ـ صورة العرب في أمريكا	ترجمة وتعليق/ أ. ثابت عيد
٣٥ـ هل المسلمون أمة واحدة؟	د. محمد عمارة
٣٦ـ السنة والبدعة	تقديم وتحقيق/ د. محمد عمارة
٣٧ـ الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان	تقديم وتحقيق/ د. محمد عمارة
٣٨ـ قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى	د. عبد الوهاب المسيري
٣٩ـ مركسة الإسلام	أ. منصور أبو شافعي
٤٠ـ الإسلام كما نؤمن به.. ضوابط وملامح	د. يوسف القرضاوي
٤١ـ صورة الإسلام في التراث الغربي	ترجمة/ أ. ثابت عيد
٤٢ـ تحليل الواقع بمنهاج العاهات المزمنة	د. محمد عمارة
٤٣ـ القدس بين اليهودية والإسلام	د. محمد عمارة
٤٤ـ مأزق المسيحية والعلمانية في أوربا (شهادة ألمانية)	تقديم وتعليق/ د. محمد عمارة
٤٥ـ الآثار التربوية للعبادات في الروح والأخلاق	د. صلاح الدين سلطان
٤٦ـ الآثار التربوية للعبادات في العقل والجسد	د. صلاح الدين سلطان
٤٧ـ السنة النبوية والمعرفة الإنسانية	د. محمد عمارة
٤٨ـ نظرات حضارية في القصص القرآني	د. سيد دسوقي
٤٩ـ الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين	د. محمد عمارة
٥٠ـ الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان	تقديم/ د. محمد سليم العوا
٥١ـ عن القرآن الكريم	الشيخ/ أمين الخولي
٥٢ـ في فقه الأقليات المسلمة	د. طه جابر علواني
٥٣ـ مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية	د. محمد عمارة
٥٤ـ مركسة التاريخ	أ. منصور أبو شافعي
٥٥ـ نقل الأعضاء في ضوء الشريعة والقانون	مستشار/ طارق البشري
٥٦ـ السنة التشريعية وغير التشريعية	محمد الطاهر بن عاشور
	الشيخ/ علي الخفيف
	د. محمد سليم العوا
	د. محمد عمارة
٥٧ـ شبهات حول الإسلام	د. محمد عمارة
٥٨ـ نحو طبٍ نفسي إسلامي	د. وائل أبو هندي
٥٩ـ واقعنا بين العالمانية وتصادم الحضارات	عطية فتحي الويشي
٦٠ـ بناء المفاهيم الإسلامية	د. سيف الدين عبد الفتاح
٦١ـ المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية	د. محمد عمارة
٦٢ـ شبهات حول القرآن الكريم	د. محمد عمارة

العنوان	المؤلف
٦٣ـ أزمة العقل العربي	د. فؤاد زكريا د. محمد عمارة
٦٤ـ في التحرير الإسلامي للمرأة	د. محمد عمارة
٦٥ـ روح الحضارة الإسلامية	الشيخ/ محمد الفاضل بن عاشور تعليق وتقديم/ د. محمد عمارة
٦٦ـ الغرب والإسلام.. افتراءات لها تاريخ	د. محمد عمارة
٦٧ـ السماحة الإسلامية	د. محمد عمارة
٦٨ـ الشيخ عبد الرحمن الكواكبي هل كان علمانيًا؟	د. محمد عمارة
٦٩ـ صلة الإسلام بإصلاح المسيحية	الشيخ/ أمين الخولي تقديم/ الإمام الأكبر الشيخ/ محمد مصطفى المراغي تمهيد/ د. محمد عمارة
٧٠ـ بين التجديد والتحديث	د. سيف الدين عبد الفتاح تقديم/ د. محمد عمارة
٧١ـ الوقف الإسلامي والتنمية المستقلة	د. إبراهيم البيومي غانم تقديم/ د. محمد عمارة
٧٢ـ الرسالة القرآنية والتفسير الحضاري للقرآن الكريم	د. سعد دسوقي حسن
٧٣ـ أزمة الفكر الإسلامي المعاصر	د. محمد عمارة
٧٤ـ إسلامية المعرفة ماذا تعني	د. محمد عمارة
٧٥ـ الإسلام وضرورة التغيير	د. محمد عمارة
٧٦ـ النص الإسلامي بين التاريخية.. والاجتهاد.. والجمود	د. محمد عمارة
٧٧ـ مناقضة علم الفيزياء لفرضية التطور	أورخان محمد علي
٧٨ـ الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية	د. محمد عمارة



إلى القارئ العزيز ..

فى هذه السلسلة الجديدة ،

إذا كان «التنوير الغربى» هو تنوير علمانى، يستبدل العقل بالدين، ويقيم قطيعة مع التراث..

فإن «التنوير الإسلامى» هو تنوير إلهى : لأن الله والقرآن والرسول - صلى الله عليه وسلم - أنوار تصنع للمسلم تنويراً إسلامياً متميزاً.

ولتقديم هذا «التنوير الإسلامى» للقراء، تصدر هذه السلسلة، التى يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامى المعاصر:

- د. محمد عمارة
- المستشار/ طارق البشرى
- د. سيف عبد الفتاح
- د. محمد سليم العوا
- أ. فهمى هويدى
- د. يوسف القرضاوى
- د. سيد دسوقى
- د. كمال الدين إمام
- د. عبدالوهاب المسيرى
- د. شريف عبدالعظيم
- د. عادل حسين
- د. صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح لإنارة العقل بأنوار الإسلام.

الناشر

